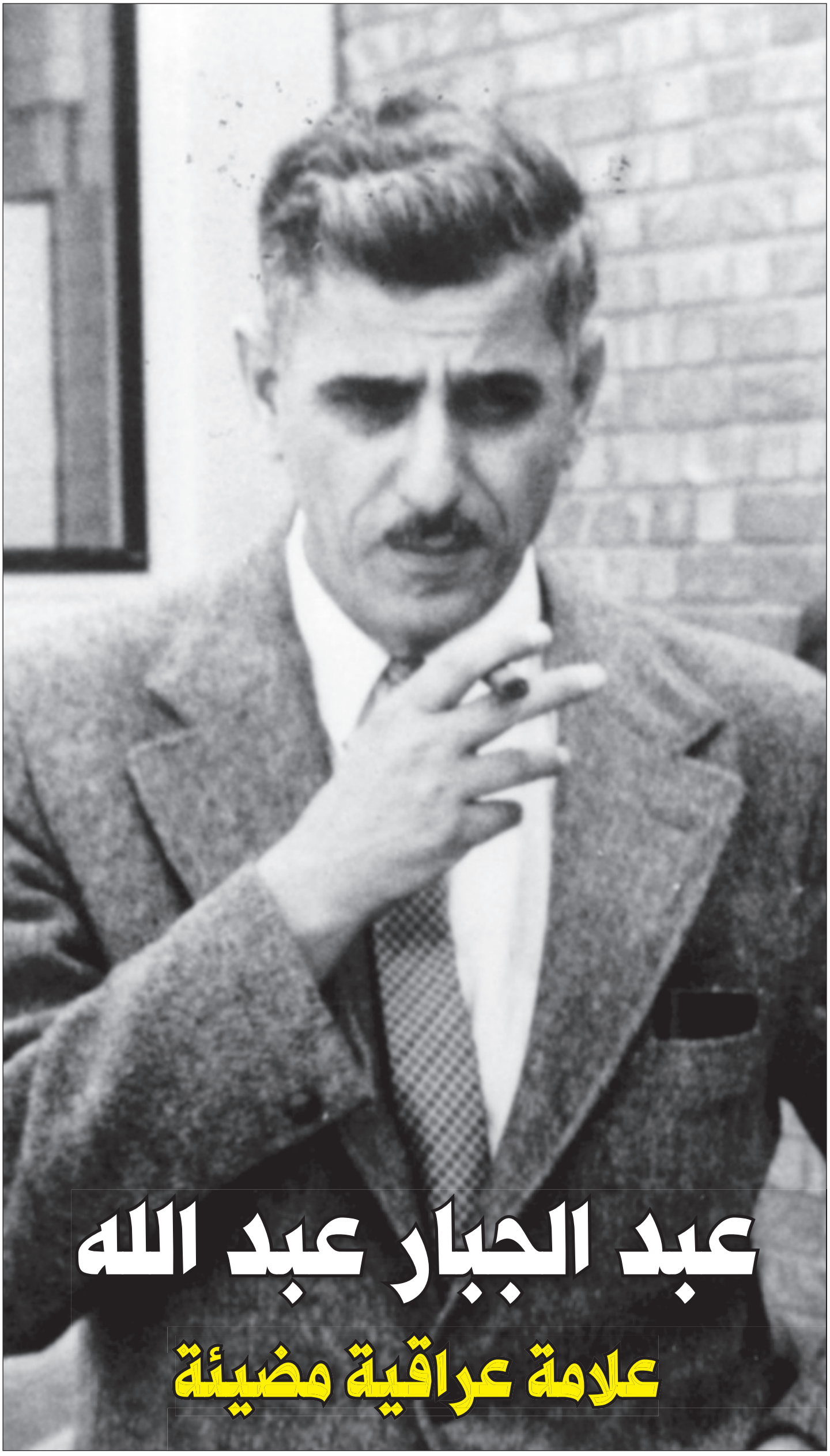

عبد الجبار عبد الله

علامة عراقية مضيئة

العراق اليوم

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2011) السنة الثامنة

الخميس (13) كانون الثاني 2011

عبد الجبار عبد الله .. علامة مندائية وضيئة

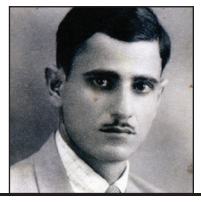

2

عبد الجبار عبد الله.. الريادة في علم الأنواء الجوية

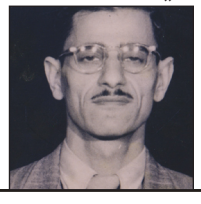

10

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

عبد الجبار عبد الله .. علامة مندائية وضيئة

أ.د. سيّار الجميل

أولا : ابن الماء والطين والرستة العراقية البيضاء

1. مقدمة: شخصيته ستبقى حية

كنت قد كتبت فصلة دراسية عن سيرة الأستاذ العلامة الدكتور عبد الجبار عبد الله منذ سنوات خلت ، إذ كان احد ابرز الشخصيات ضمن النخبة العراقية التي اعتنيت بها في « زعماء ومثقفون : ذاكرة مؤرخ « . وفي العام ٢٠١١ ، ستمر علينا الذكرى المئوية لميلاد هذا الرجل ، وواجبنا أن نحتفي بها احتفاء يليق بمكانته العلمية والوطنية في حياة العراق إبان القرن العشرين ، خصوصا وان اسمه كان ولم يزل ، يثير أسئلة عدة فضلا عن انطباعات مدهشة عن هذا الرجل الذي يعتبره كل من عرفه معرفة حقيقية ، انه الاستثناء في علمه وأدبه وثقافته وخلقه وأسلوبه المتحضر في الحياة . دعوني أقف اليوم وقفة مطولة عند سيرة عبد الجبار عبد الله وإبداعاته ونضاله وخصاله ..وسواء اتفق البعض معه أو اختلفوا عنه ، فان من الضرورة اليوم ، أن يكون المرء حياديا ومنصفا في تقييم الرموز العراقية من العلماء والأدباء والقادة والزعماء ، واحترام خصوصيات كل واحد منه وخياراته الفكرية والسياسية ، ناهيكم عن دينه أو عرقه أو مذهبه .. ذلك إننا أمام بنية تزدحم بالتنوعات والألوان وتتعدد فيها المضامين والأشكال . ولقد اعتمدت في كتابتي عن عبد الجبار عبد الله على عدة كتابات وذكريات ومقالات ، وأحب أن اذكر منها كتاب الصديق الدكتور ستار نوري العبودي عن العلامة العراقي عبد الجبار عبد الله . أن لـلأخ العبودي جهده الواضح في تقديم معلومات جديدة عن هذا الرمز العراقي في تاريخ العراق إبان القرن العشرين . وكانت مجلة الثقافة الجديدة ، قد نشرت بعددها المرقم ٢٦١ لسنة ١٩٩٤ – ١٩٩٥ موضوعا تحت عنوان « مساهمات د. عبد الجبار عبدالله العلمية « مترجما عن نص النعي الذي نشرته جمعية الأنواء الأميركية الصادرة في شهر نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٦٩ ، وكتب النص نيابة عنها اثنان من العلماء الأميركيين المعروفين في حقل علم الأنواء الجوية الأول (أهوروتوزا) الذي كان أستاذا معه في جامعة ولاية نيويورك في ألباني ، والثاني هو (جيمس براين) تلميذه في دراسة الدكتوراه وقد غدا أستاذا في جامعة فلوريدا .. دعونا نرى هنا في مقالتنا هذه عن العلامة العراقي عبد الجبار عبد الله ، نموذجا تاريخيا حيا ومريرا من نماذج العراق العلمية البارزة الذين دفعوا الأثمان الباهظة في حياتهم ، سواء في تكوينه وتألقه وإبداعه .. وانعدام الوفاء إزاءه في بلده ومن قبل العراقيين أنفسهم ، ليسجن ويشتم ويهان ، ثم يشرد إلى ما وراء البحار ليرحل إلى بارئه هناك ، ولكنه يأبى إلا أن يدفن جسده في تراب العراق . دعونا نتوقف عند تجربة هذا العراقي المندائي الأصيل ابن ماء دجلة وابن طين الجنوب وابن الرستة الصُبيّة البيضاء .

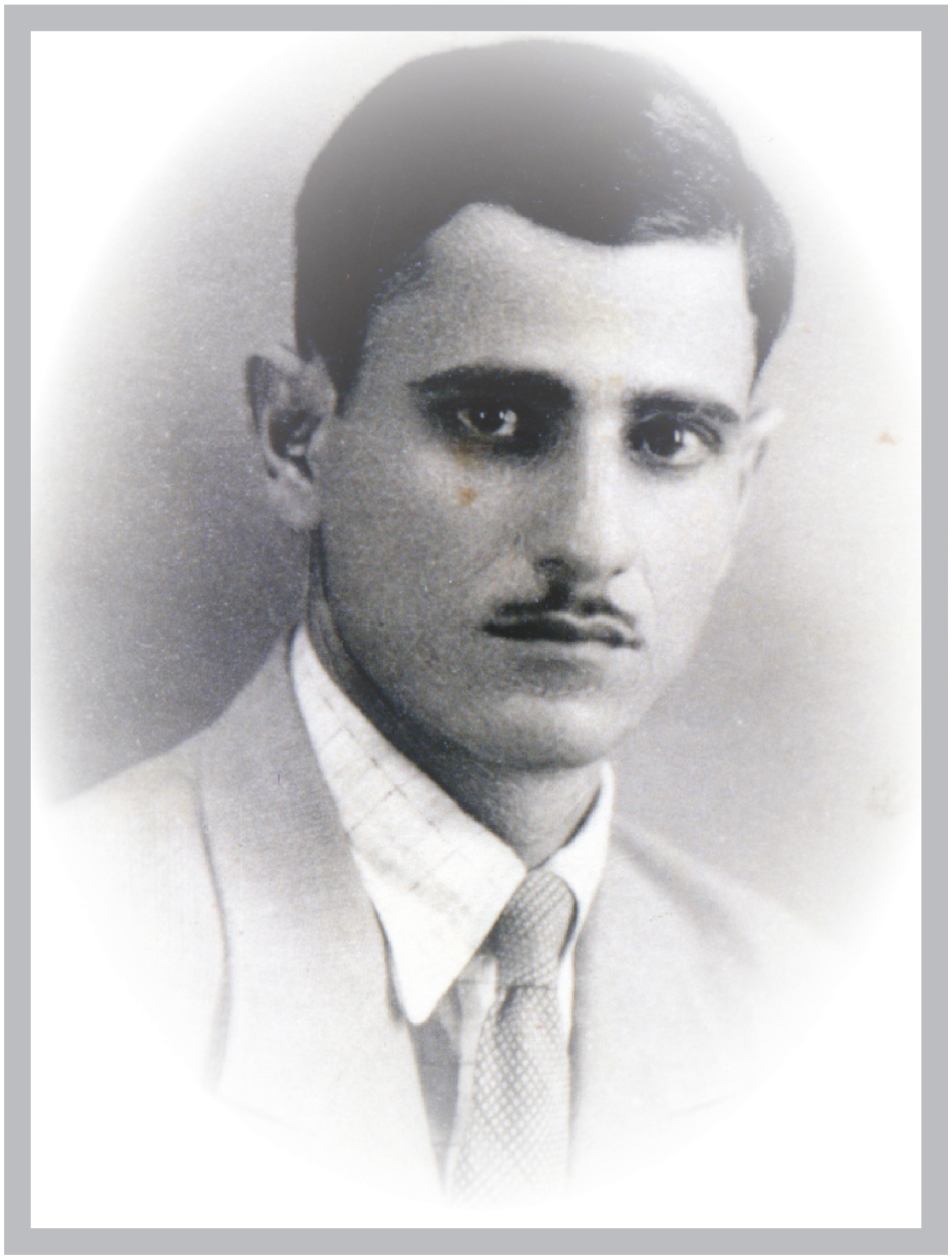

2. المراحل الاولى

ولد الدكتور عبد الجبار عبد الله في مدينة قلعة صالح (لواء العمارة) بولاية البصرة العثمانية عام ١٩١١، في بيت معروف برئاسته الدينية للطائفة الصابئية المندائية، فوالده الشيخ عبد الله ابن الشيخ سام ، كان الرئيس الروحاني الأعلى للطائفة في العراق والعالم. وكانت والدته السيدة (نوفه رومي الناشئ) وهي من عائلة معروفة بين أبناء طائفتها، وشقيقها غضبان الرومي، المثقف والسياسي المعروف، أما زوجه فهي السيدة (قسمة الشيخ عنيس الفياض) ، ووالدها أحد الصاغة العراقيين المشهورين . كتب لي الصديق الأستاذ عربي الخميسي ، قائلا عن الراحل عبد الجبار عبد الله : « عرفته عن قرب وعائلته الكريمة ووالده المرحوم الكنزبري الشيخ عبدالله الشيخ سام رئيس الطائفة الصابئية المندائية في محلة الصابئة المندائيين في مدينة قلعة صالح ، تلك المدينة التي ولدت أنا في أريافها ، ومن ثم انتقلت إليها من الريف ، وبذات مدرستها الابتدائية أنهيت دراستي الابتدائية حيث كانت تلك المحلة تؤلف اكبر محلات تجمع بشري بتلك المدينة ، ومن ثم محلة اليهود في ذلك الوقت . وبحكم المكان والزمان تعايشنا مع الجميع وتعايشوا معنا بوئام وسلام أديان وأقليات من إسلام ويهود وصابئة مندائيين وقلة من المسيحيين « .

وإذا كان مترجمنا عبد الجبار عبد الله سليل هكذا بيت له مكانة عليا عند الصابئة المندائيين ، فالسؤال : لماذا عاش عبد الجبار في كنف أسرة فقيرة، كانت تعاني من شظف العيش ؟ ولماذا انعكست تلك المعاناة المبكّرة على صباه ؟ وهو يتذكرها بالقول: كنت ارتدي الثياب الصيفية في الشتاء، والتجوال حافي القدمين في سنوات طفولتي الأولى. سألت هذا السؤال ، فأجابني عليه الأستاذ الخميسي قائلا : « كان الوضع الاقتصادي آنذاك ضعيفا جدا والأعمال غير متوفرة ومختصره على زراعة الحبوب وزراعة النخيل وبعض محاصيل الأهوار المحيطة وصيد السمك والطيور المهاجرة .. والشيخ عبد الله الشيخ سام كان يعيش مثل غيره في حالة الكفاف رغم ترأسه الطائفة ، وأحيانا يحل محل مختار المحلة عند فقدانه . وكان رجلا محترما جدا من قبل القائممقام والسلطة عامه آنذاك . والجواب على تساؤلكم عن حالة الفقر للشيخ : السبب هو أن رجل الدين المندائي متفرغ بالمطلق لخدمة أبناء الطائفة لوجه الله بدون عوض ، والمعيشة كانت بسيطة جدا ، وخصوصا أن الصابئي المندائي قنوع وصبور في طبيعته ، يكتفي بمعيشته على أكل السمك بشكل كبير تعويضا عن اللحوم وعلى الإنتاج الحيواني مثل اللبن والحليب وعلى الإنتاج النباتي .. والتمر خاصة ، وكل هذه متوفرة لدى صاحب الدار (البقرة وبستان النخيل والاثمار الأخرى) والسمك من الأسواق بسعر بخس ، وقلما يأكلون اللحم وتحديدا لحم الغنم الخروف فقط وفق أحكامهم الشرعية التي تحرم عليهم ذلك أما المصروفات العائلية للشيخ ، فقد كانت تعتمد على بعض التبرعات البسيطة وغير المعلنة كما تقتضي الاحكام من بعض الوجهاء ، ولهذا والى حد هذا اليوم ، فان رجل الدين المندائي ضعيف ماليا ، وهو راض عن حياته قناعه تامة .. سيدي أنا شخصيا تربيت بكنف عائلة فقيرة أيضا ، وما رواه المرحوم عبد الجبار عبد الله عن حاله كان صادقا في طرحه « (انتهى النص) .

يبدو لي أن طفولة عبد الجبار إبان الحرب العالمية الأولى كانت قاسية بحكم الظروف الصعبة التي مرّت بالعراق ، إذ وعى بنفسه ، والانكليز يحتلون البلاد ، وان الدولة تتشكّل وهو في العاشرة من عمره . وكان قد أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة قلعة صالح، التي تعد أول مدرسة ابتدائية تؤسس في لواء العمارة. دخل هذه المدرسة عام ١٩١٨ وتخرج فيها عام ١٩٢٥ ، وهو في الرابعة عشرة ، ثم يغادر إلى بغداد ليكمل دراسته الإعدادية في الثانوية المركزية بقلب بغداد عام ١٩٣٠ ، وهو في التاسعة عشرة عند نهاية مرحلة مراهقته ، متفوقاً بنتائجه على زملائه في الامتحانات ، وتشير بطاقة درجاته الامتحانية إلى ميله الواضح للدروس العلمية ، وخاصة في مادتي الرياضيات والفيزياء ، وسيتفوق فيهما لاحقا . ويبدو واضحا أن عبد الجبار عبد الله قد سبق عبد الكريم قاسم بسنة واحدة أو سنتين في دراستهما بالثانوية المركزية التي كانت قد تأسست ببغداد عام ١٩١٨ لتدريس العلوم المدنية ، وان الاثنين

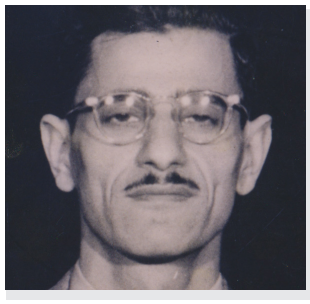

ولد الدكتور عبد الجبار عبد الله في مدينة قلعة صالح (لواء العمارة) بولاية البصرة العثمانية عام 1911، في بيت معروف برئاسته الدينية للطائفة الصابئية المندائية، فوالده الشيخ عبد الله ابن الشيخ سام ، كان الرئيس الروحاني الأعلى للطائفة في العراق والعالم.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

مع زملائهما المتميزين آنـذاك قد شهدا زيارات الملك فيصل الأول للثانوية ، إذ يقال انه كان يزورها يوميا ويسجل اسمه بلقب المعلم الأول ويراقب التدريسات والأنشطة الطلابية ، ويتحدث إلى المدرسين ويتابع شؤون الطلبة ، ويراقب ميولهم وتطلعاتهم ، وهم يستمعون إليه والى توجيهاته .

3. دراسته الجامعية وحياته الوظيفية الأولى

نعم، لقد عرف عن عبد الجبار بتفوقه بين زملائه في الثانوية المركزية، ولعل ذلك كان سبباً وراء ترشيحه إلى بعثة دراسية خارج العراق. وقد شملت البعثات ستة وعشرين طالباً، من بينهم عبد الجبار عبد الله إلى الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٣٠، لدراسة العلوم ، وخصوصا علم الفيزياء ، فكانت أن مثلت بـيروت لـه وبـالـذات الجـامعة الأمـريكـية ، انعطافة حقيقية ، ومحطة جديدة ومهمة في حياته، إذ أسهمت بصورة فاعلة في بلورة شخصيته الثقافية والعلمية التي تشكّلت بوضوح بعد تخرجه في أروقة تلك الجامعة ، مع كفاءة عالية بالانكليزية ، وخبرة في المنهج . إن بعثات الطلبة الرسمية إلى الجامعة الأميركية في بيروت على ذلك العهد ، لم يكن رصيدها إلا مؤهلات الطلبة الذين يتم اختيارهم دون أية اعتبارات أخرى ما دام كلهم من العراقيين .

لقد قام لفيف من الطلبة العراقيين بتأسيس أول جمعية طلابية عراقية خارج العراق في العام ١٩٣٠ .. وضمت كل من عبد الفتاح إبراهيم ومحمد حديد وعلي حيدر سليمان إلى جانب عبد الجبار عبد الله ، وسيكون لكلّ واحد من هؤلاء شأن كبير في تطور العراق . وكانت هذه الجمعية النـواة الأولى للـرابطة الثـقافية التي تشكلت في بغداد، فيما بعد، والتي أسدت دوراً ثقافياً وطنياً وديمقراطياً خلال عقد الأربعينيات من القرن الماضي ، لتقف إزاء جمعيات أخرى ذات اتجاهات قومية . وأصدرت مجلة أسمها (الرابطة) التي شغل فيها عبد الجبار عبد الله مسؤولية (سكرتير التحرير) منذ صدور عددها الأول عام ١٩٤٤ .

4. شغفه بالادب العربي والتراث العراقي

كان عبد الجبار عبد الله ميالا منذ صغره للموروث الثقافي لديانته الصبية المندائية ، وكان حريصا على حفظ نصوص عدة من الكنزبرا ، وهو الكتاب المقدس لها بكل ما احتوت تلك النصوص من تعاليم ، وكان يرتلها دوما . كما وعشق منذ صبوته الأدب العربي ، وشغف مع توالي الأيام والسنين بقراءات للشعر العربي بصورة خاصة، ويقال انه كان شغوفاً بالشعر الجاهلي. وحين اتسعت مداركه ، ازداد تعلقه وشغفه بالكتب المتنوعة والمعرفة العامة ، فقرأ الفلسفة والتاريخ إلى جانب كتب علمية مختلفة لا سيما تلك التي تتعلق باختصاصه العلمي. وقيل انه كان يوصي أصدقاءه بقراءة شعر أبي العلاء المعري، والمتنبي، وأبي تمام، وأبي نواس، على أن شاعره المفضل كان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري. ولذلك لم تكن صدفة أن نجد بين مقتنيات مكتبة عالم فيزيائي كبير كتباً في الأدب العربي، أو معاجم للغة العربية . كما يروي أصدقاؤه وزملاؤه وأبـنـاء عائلته، الذين أكـدوا انـه كان شاعراً يستأنس للكلمة الجميلة ، ومثقفاً واعياً بأهمية التراث العربي، ومما يؤكد ذلك، قراءته المستمرة للتاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص.

لقد جاء في واحدة من المفكرات اليومية للعام ١٩٤٣ ، والتي تركها والدي القاضي الأستاذ كوكب علي الجميل بعد رحيله عام ١٩٦٨ ، إذ كان يدون ما يصادفه من أحداث وشخوص لسنوات طوال ، فجاء في مفكرة ١٩٤٣ ، انه تعّرف ببغداد على أستاذ قدير في دار المعلمين العالية اسمه عبد الجبار عبد الله ، وتوثقت عرى معرفتهما من خلال صديقهما المشترك داؤد الفداغ (أصبح طبيبا شهيرا) وهو من البصرة ، إذ حضرا في احد أيام كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٣ حفل افتتاح منتدى الرابطة الثقافية في بغداد ، وكان الجميل في سنته الأخيرة بكلية الحقوق ، وكـان الـفداغ في سنته الرابعة في كلية الطب .. وجاء أيضا : إن عبد الجبار عبد الله يمتلك طبعا هادئا ، ويحفظ أشعارا رائعة من العصر العباسي ، ومـن خصـاله انـه سـريع الحـفظ إلى درجة إن قيلت أمامه أبيات شعر ، حفظها مباشرة ، وهو قارئ على درجة عالية من الثقافة اكتسبها من قراءاته وتعدد وتنوع مصادر ثقافته العلمية والإنسانية، فضلاً عن حرصه على تعلم اللغات غير العربية. ويبدو للمؤرخ ان الرجل كان واسع الاطلاع بحيث نجد ملاحظاته السديدة بشأن المندائيين في هوامش ترجمة كتاب عنوانه « العراق في القرن السابع عشر لتافرينييه » وقد قدم له المترجمان شكرهما على جهده .. كما أن له ملاحظاته أيضا على تاريخ العراق الاقتصادي .. فضلا عن كونه من الأساتذة الذين نصحوا المؤرخة العراقية البرتين جويدة كي تتخصص في تاريخ العراق الحديث . وقد حدثّني الصديق ولده الدكتور ثابت نقلا عن والدته أن زوجها عبد الجبار عبد الله طلب منها وهو في أيامه الأخيرة راقدا في المستشفى أن تأتيه بديوان الجواهري ، وقد ودّع الحياة والديوان بيديه يقرأ أشعاره .

وعليه ، فإنني اعتقد أن الرجل كان واسع المدارك الثقافية، وله مواهب استثنائية ، وذكاء قوي الدرجة ، وكان صاحب علاقات إنسانية مع الآخرين ، ويعتز بتاريخ العراق الثقافي ، مما أهلّه ذلك كله لتكوين وعي وإدراك ومعرفة واسعة مع تفكير خصب وبعد نظر ، وقد تناغمت مع ذلك كله ، وطنية عميقة وحب للعراق وتواضع العلماء .. ألحقها جميعها بمكانة علمية دولية بقي يحافظ عليها حتى رحيله المبكر إلى بارئه في الولايات المتحدة الأميركية .. وترك إرثا علميا يعتز به طلبته ومعارفه وكل من تلقى العلم على يديه ..

5. دوره في تأسيس منتدى (الرابطة) الثقافي

تحدثنا سابقا أن عبد الجبار عبد الله، كان واحدا من المثقفين العراقيين الذين قاموا بتأسيس « الرابطة الثقافية » في العراق. وهي واحدة من التجمعات الثقافية والسياسية التي حفل العراق بها إبان الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين . وهي محطة وضيئة في سيرة مثقفين عراقيين حقيقيين كانوا يؤمنون بالعمل الجمعي سواء كانوا ليبراليين أم راديكاليين أم قوميين .. وكانت فكرة الرابطة قد انبثقت في سني الحرب العالمية الثانية، وكان المؤسسون يأملون ويتطلعون منذ تلك الأيام على انتصار العراق ديمقراطيا ، وهم يحملون همومهم السياسية والاجتماعية ضمن نزعة وطنية عراقية ، ويحلمون بأهداف وتطلعات في التطور والتقدم للعراق .. في حين كان آخرون يعملون في نواد وجمعيات أخرى وهم يتطلعون على انتصار العراق قوميا ، كونه بروسيا العرب وكانوا يحلمون بـدوره في توحيد العرب .. لقد وجدت من خلال قراءتي تاريخ المثقفين العراقيين المعاصرين (كتابي : انتلجينسيا العراق : المثقفون العراقيون في القرن العشرين) أن المثقفين العراقيين ، كانوا منقسمين إلى اتجاهين وطنيين اثنين إبان النصف الأول من القرن العشرين ، أولاهما راديكالي النزعة ، ويعمل ديمقراطيا من اجل العراق . وثانيهما ليبرالي النزعة ، ويعمل قوميا من اجل العراق .. وقد اصطدم الاثنان لاحقا ! في مثل هذا الخضم ، كان الدكتور عبد الجبار عبد الله قد اختار المحطة الأولى في حين اختار الدكتور عبد العزيز الدوري مثلا المحطة الثانية ، وإذا كانا قد افترقا فكريا منذ البداية ضمن اتجاهين مختلفين ، فلقد افترقا أكاديميا في نهاية المطاف . هذا مثل صارخ على انقسام الثقافة العراقية منذ بدء تكوينها المعاصر وحتى اليوم .

دعونا نبقى في إطار المحطة الأولى ، ففي خضم ذاك المناخ الـذي كانت فيه فسحة من الحريات السياسية والفكرية ، فكر عبد الفتاح إبراهيم في تأسيس الرابطة ، التي سينتمي إليها العديد من المثقفين الراديكاليين والليبراليين العراقيين . لقد أعلن عن تأسيسها في ديسمبر / كانون الأول ١٩٤٣، وضمت قائمة المؤسسين إلى جانب المؤسس عبد الفتاح إبراهيم كلّ من الأساتذة : خدوري خدوري، ومخلف العبيدي، وجمال عمر نظمي، وحازم نامق، وجميل عبد الله، فضلاً عن عبد الجبار عبد الـلـه، وناظم الـزهـاوي ، ومحمد توفيق حسين، وفاضل حسين وكامل قزانجي. وعبد القادر إسماعيل البستاني.

6. أنشطة الرابطة

لقد التحق بالرابطة أيضا العديد من الشباب المثقفين العراقيين ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كلا من الأساتذة : حسين جميل ، وطه باقر، وكوركيس عواد، وعزيز شريف، وهاشم جواد.. وغيرهم . وكان أن ترك هذا المحور الجمعي بصماته على حياة العراق السياسية والثقافية ، وعّبر عنه جيل مشبع بالحيوية والوطنية ، كـان تكوينه ممـتـازا في ظل عهد الملك فيصل الأول ، لـيؤتي أكـلـه اثـر الحرب العالمية الثانية .. ويؤثر تأثيرا كبيرا على دول المحيط بالعراق .. وسيكون العراق بؤرة إشعاع نهضوية يقصدها في عقدي الخمسينيات والستينيات ، مئات الطلبة والـدارسـين الـعـرب ، لينهلوا من عطاء العراقيين وإبداعاتهم . لقد انصرف عبد الجبار عبد الله إلى شؤون الرابطة ، مذ أوكلت إليه مهمة سكرتارية تحرير مجلة الرابطة ، وبقي يكتب في شؤون فكرية وموضوعات اجتماعية.. وقد اطلعّت منذ سنوات على بعض ما كتبه من أفكار متقدمة على زمنها ، وهي مخصبة بوعي وطـنـي ، وتـوجـه ديـمـقـراطـي ، ومسحة اشتراكية .. لكنه لم يقّدم حلولا من لدنه لمشكلات كان يعاني منها اغلب العراقيين .. ونجده في هذا المجال ، يختلف مع الأفكار التي يحملها عبد الفتاح إبراهيم الذي وقف على رأس تلك « الجماعة » المثقفة العراقية الشابة ، وبقي عبد الجبار عبد الله يحترم ذكرى زملائه ويحترم الرابطة التي أسسوها ، وظل وفياً لتلك الجماعة ، وغير بعيد عنها.

لقد كانت أنشطة الرابطة كبيرة من خلال المناقشات والمحاضرات وتشكيل لجان التأليف والنشر، وتأسيس مكتبة خاصة بها، ثم تأسيس شركة للطباعة سميت باسمها (الرابطة). التي غدت في ما بعد تحت سيطرة الانقلابيين في ٨ شباط / فبراير ١٩٦٣، فآلت ملكياتها إلى الدولة لاحقا باسم دار الجماهير للطباعة . صحيح أن توجهات أعضاء الرابطة المؤسسين الفكرية والسياسية، قد تباينت بين يمين ووسط ويسار ، إلا أن أهدافا وطنية مشتركة قد جمعتهم من دون أي أبعاد طبقية ، أو اختلافات دينية ، أو مفارقات طائفية ، أو شوفينية كما تبلور ذلك في بنية المجتمع العراقي لاحقا ! كانوا جميعا يؤمنون بالديمقراطية والحريات والثقافة العليا وبالتغيير الاجتماعي نحو الأفضل وبناء العراق وتطويره بالسبل الجديدة . كان عبد الجبار عبد الله من أنشط أعضاء تلك الرابطة الشهيرة والمهمة ، وسعى من اجل إشاعة توجهاتها الثقافية ، ولكن بأسلوب تقدمي ، إذ كان الرجل يميل إلى اليسار ، ولم تكن لديه أية طموحات سياسية على خلاف غيره من أعضاء الرابطة الذين تنوعت اتجاهاتهم وتياراتهم ، فلقد دخل عبد الفتاح إبراهيم مثلا إلى الساحة السياسية مؤسسا حزب الاتحاد الوطني لاحقا عام ١٩٤٦ ، كي يلعب لعبته البرلمانية ولكن بقيت تطلعاته وتوجهاته وأهدافه تدور في ذات الحلقة الفكرية .

إنني اعتقد أن الرجل كان واسع المدارك الثقافية، وله مواهب استثنائية ، وذكاء قوي الدرجة ، وكان صاحب علاقات إنسانية مع الآخرين ، ويعتز بتاريخ العراق الثقافي ، مما أهلّه ذلك كله لتكوين وعي وإدراك ومعرفة واسعة مع تفكير خصب وبعد نظر ، وقد تناغمت مع ذلك كله ، وطنية عميقة وحب للعراق وتواضع العلماء ..

7. وظائفه ومناصبه

ومن المستغرب ، أن يعود عبد الجبار عبد الله إلى وطنه بعد تخرجه في الجامعة الأميركية عام ١٩٣٤ ليعين مدرساً للغة الانكليزية في المتوسطة الشرقية ببغداد، بعيداً عن اختصاصه الذي شغف به ، فقرر العودة إلى مدينة العمارة ثانية ، والعمل في ثانويتها كمدرس للرياضيات والفيزياء حتى عام ١٩٣٨، إذ ينتقل إلى وظيفة جديدة في الأنواء الجوية بمطار البصرة . وعلى الرغم من أن وظيفته هذه أبعدته عن زملائه من الرموز الجديدة التي جاءت بآراء جديدة في الثقافة والفكر السياسي الوطني ، إلا انه كان مقتنعا كما يبدو بأي وظيفة تشبع رغبته في ممارسة التخصص الذي يعشقه .. كان ذلك إبان عهد الملك غازي ١٩٣٣- ١٩٣٩ الذي اتسّم بتصاعد النزعة القومية في العراق ، فانحسرت نشاطات عبد الجبار الثقافية العامة، لكنه عاد ثانيةً لنشر مقالاته العلمية في مجلة (التفيض) البغدادية، فقد نشر مقالته الأولى تحت عنـوان « مـبـادئ الـنظرية النسبية من بطليموس إلى اينشتاين» . ويبدو انه كان يراسل جمعيات بريطانية وغيرها مختصة بالأنواء الجوية وقد حصّل كما يقال على عضوية الجمعية الانكليزية للأنواء الجوية.

وفي العام ١٩٣٩ ، كان مصرع الملك غازي ، ونشبت الحرب العالمية الثانية ، وكانت هناك مرحلة مضطربة من تاريخ العراق في أثنائها ، إذ غدا العراق مركز ثقل كبير في منطقة الشرق الأوسط في تجاذبات كل من الحلفاء والمحور ، وانقسم العراقيون إلى قسمين سياسيا بتأثير تلك التطورات المخيفة ، وضمن حملات التعبئة العسكرية التي أقدمت عليها الحكومة آنذاك، ينخرط عبد الجبار عبد الله في خدمة الاحتياط كضابط في الجيش، ويعود بعدها إلى مطار البصرة حتى عام ١٩٤١ الذي شهد أحداثا ثقيلة في العراق ، وبعد أن هدأت الحال اثر القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني ، ينتقل الرجل بعد تسريحه من الجيش إلى بغداد للتدريس في الثانوية المركزية التي كان طالبا فيها إبان العشرينيات ، ويبقى فيها لغاية أيلـول ١٩٤٣ ، أستاذا لمادة الفيزياء للصف الخامس الثانوي رفقة زميله وصديقه الأستاذ هاشم الحسني. وكان عبد الجبار عبد الله قد عيّن مشرفا على امتحانات الباكالوريا للصف الخامس الثانوي عام ١٩٤٢ في مدينة الموصل التي قدم إليها لهذه الغاية ، فقام بذلك أحسن القيام .. تمضي الأيام ، ويلمع اسمه من خلال أنشطته وضبط عمله وإخلاصه لمؤسسته ، فتسنح الفرصة له مجدداً أن يتمتع ببعثة دراسية على حساب الحكومة العراقية ، لنيل شهادة الدكتوراه في جامعات الولايات المتحدة عام ١٩٤٤ ، وتمكن بفضل موهبته العالية من انجاز المهمة عام ١٩٤٦ ، فيعود إلى العراق لتدريس اختصاصه في دار المعلمين العالية.

8. في دار المعلمين العالية

وكانت تلك « الدار » تعد من أمهات المدارس الأكاديمية في الشرق الأوسط كله إبان النصف الأول من القرن العشرين نظرا لقوة مكانتها العلمية ، وثقل أساتذتها اللامعين ، وإبداعات طلبتها الرائعين .. دعونا ننقل عن الصديق المؤرخ الدكتور إبراهيم خليل احمد ما سجله من ذكريات أحـد خريجيها وهـو الأسـتـاذ التربوي المخضرم نـزار المختار ، قائلا : « وأورد الأستاذ المختار أسماء عدد من الأساتذة الـعـرب الـذيـن درسـوه ومـنـهـم الدكتور حلمي شاكر سمارة (فلسطيني) وجورج الـبـارودي (لبناني) وإسماعيل حقي (مصري) وإميل جبر ضومط (لبناني) والدكتور محمد كامل النحاس (مصري) والدكتور شريف عسيران (لبناني) .. ومن الأساتذة العراقيين الدكتور داؤد نصير وبهجت النقيب وسعيد صفو ومحي الدين يوسف وعبد الله عبودي وسعدي الدبوني والدكتور محمود كنونه والدكتور جابر الشكري والدكتور سليم

مع المهداوي ويبدو في الصورة وزير العدل الراحل مصطفى علي

النعيمي والدكتور جابر عمر والدكتور محمد حسين آل ياسين والدكتور حسن الدجيلي والدكتور نوري جعفر .. وممن لم يدرسه الدكتور خالد الهاشمي والدكتور عبد الحميد كاظم والدكتور احمد عبد الستار الجواري والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور جاسم محمد الخلف والدكتور زكي صالح والدكتور عبد الجبار عبد الله والأستاذ خضر عبد الغفور والدكتور إبراهيم شوكت وجميع هؤلاء الأساتذة كانوا مشهورين ومتميزين ليس على صعيد العراق بل على الصعيد العربي كذلك بسبب مؤلفاتهم ونشاطاتهم العلمية « (انتهى النص) . نعم ، إنها كوكبة رائعة من ابرز الأسماء الأكاديمية التي تخرّج على يديها العديد من المبدعين العراقيين والعرب الذين درسوا في تلك الدار الأكاديمية العراقية الشهيرة قبل تأسيس جامعة بغداد .

9. رأي احد طلبته فيه : ما قاله الدكتور عدنان الظاهر

كتب الصديق الدكتور عدنان الظاهر أستاذ العلوم المعروف ، كلمة مختصرة ومؤثرة جدا عن أستاذه الدكتور عبد الجبار عبد الله ، ويلخص فيها من يكون هذا الإنسان العراقي قائلا : « من هو المندائي الآخر في دار المعلمين العالية ؟ إنه البروفسور الأشهر الدكتور عبد الجبار عبد الله . كان الأستاذ عبد الجبار مضرب المثل الأعلى في علمه وأخلاقه ومسلكه . كان طلبته يقدسونه تقديساً . كان بعض أصدقائي الحلاويين وغيرهم من طلبته يحكون عن علمه الأعاجيب. أتذكر منهم علي حسين وتوت وعبد الوهاب عبد الشهيد والمصلاوي حكمت فرجو والصديق النبيل أدور حنّا الساعور . بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ أصبح الدكتور عبد الجبار رئيساً لجامعة بغداد بعد منافسة مشهورة بينه وبين الدكتور عبد العزيز الدوري حسمها عبد الكريم قاسم بترجيح كفة الأستاذ عبد الجبار . ما زلت أتذكره كيف كان حريصاً على أداء رسالته التعليمية السامية وتربية شباب العراق إذ لم تمنعه مهمات رئاسة جامعة بغداد المعقدة من مواصلة التدريس بكل دقة . كنت أراه يأتي دار المعلمين العالية يقود سيارة جامعة بغداد بنفسه تعففاً من أن يقودها السائق المكلف بقيادتها . كانت سيارة فورد صالون أمريكية ماركة فورد سماوية اللون تحمل علامة (رئاسة جامعة بغداد رقم واحد) . ما كانت تهمه المظاهر أبداً ، فكان يأتي صيفاً وهو رئيس جامعة بغداد بقميص أبيض وبنطرون لا غير . لا بدلة كاملة ولا ربطة عنق . عرف العراقيون ما جرى لهذا العالم الجليل إثر إنقلاب الثامن من شباط / فبراير عام ١٩٦٣ من إعتداءات وسجن وإبعاد من الوظيفة فأضطر إلى مغادرة العراق والعمل والعيش في الولايات المتحدة الأمريكية إذ كان موضع تقدير وترحيب عاليين من قبل بعض الجامعات الأمريكية . غادر الدنيا في أمريكا وأظن إنه أوصى أن يدفن تحت تربة العراق ، وطنه ووطن أجداده الأقدمين . يشرفنا أننا طلاب تلكم المرحلة أن يرعى البروفسور عبد الجبار عبد الله حفل تخرجنا صيف عام ١٩٥٩ في ساحة ملعب الإدارة المحلية الكبيرة الواقعة في حي المنصور من بغداد . خطب في هذا الحفل عبد الكريم قاسم يقف إلى جانبه المرحوم عبد الجبار رئيس جامعة بغداد « .

ثانيا : من الأمانة والرزانة إلى الاهانة والزنزانة

حياته الاكاديمية ورئاسته جامعة بغداد

1. بدايات الحياة الاكاديمية

تسنح الفرصة للرجل مجدداً في التمتع ببعثة دراسية لنيل شهادة الدكتوراه في جامعات الولايات المتحدة عام ١٩٤٤ ، فغادر إلى هناك ، وحصل عبد الجبار عبد الله على شهادة الدكتوراه في العلوم الطبيعية (الفيزياء) من معهد مساتشوست للتكنولوجيا MIT في الولايات المتحدة الأميركية ، وهو من أهم المعاهد العلمية في العالم .. وتمكن بفضل موهبته العلمية العالية من انجاز مهمته في وقت قصير ورجع عائدا إلى وطنه عام١٩٤٦ حاملا شهادة الدكتوراه ، ليمارس تخصصه في دار المعلمين العالية التي كانت تعد في تلك المرحلة من أهم المعاهد العلمية في الشرق الأوسط كله . وشغل عبد الجبار عضوية مجلس جامعة بغداد منذ بداية تأسيسها، وكان وجوده في المجلس فاعلاً ونشيطاً على عهد مؤسسها ورئيسها العالم العراقي الشهير الدكتور متي عقراوي وكان أول رئيس للجامعة ، فكان أن اشتغل بمعيته وكيلا له رفقة الدكتور عبد العزيز الدوري . وعند حدوث ثورة ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ أحيل الأستاذ متي عقراوي على التقاعد ، فتحول وكيله عبد الجبار إلى منصب الرئاسة من الناحية الفعلية. وأمين عام لها حتى شهر شباط / فبراير ١٩٥٩ ، إذ صدر مرسوم جمهوري بإناطة مهمة الرئاسة إليه، بعد تنافس شديد مع الدكتور عبد العزيز الدوري ، وهو شخصية علمية لامعة أخرى . ويقال ان متى عقراوي ارسل تبريكاته لزميله عبد الجبار عبد الله من خارج العراق الذي تركه بعد ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ ، قائلا في رسالته : « أني اشعر باطمئنان شديد ، فالجامعة اصبحت بايدي آمنة « (نص الرسالة بحوزة الدكتور ثابت عبد الله) .

2/ مشكلة رئاسة جامعة بغداد وحسمها :

نعم ، لقد تسلم عبد الجبار عبد الله مسؤولية الجامعة، في أوضاع سياسية محتدمة بين تيارين سياسيين عراقيين متعارضين تماما ، تيار يمثله الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وحلفائه من الشيوعيين والديمقراطيين والتقدميين ، وتيار يمثله العقيد الركن عبد السلام عارف وحلفائه من القوميين والناصريين والبعثيين ، فانعكس ذلك على شخصيتين علميتين اثنتين ، وجدت كل واحدة ضالتها عند هذا التيار أو ذاك باحتدام الجدال والنقاش في الأوساط السياسية والعلمية حول المرشح لرئاسة الجامعة آنذاك. ومن الطرائف التي رواها المؤرخ خليل إبراهيم حسين في واحد من كتبه أن الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة بعد تموز / يوليو ١٩٥٨ ، اعترض على ترشيح الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيسا لجامعة بغداد كونه ينتمي إلى الصبة المنذائيين ، فردّ عليه احمد محمد يحي وزير الداخلية قائلا : « نريد إماما للجامعة، لا إماما لجامع يؤم المصلين « ! ويكتب لي الأستاذ الخميسي حول هذا « الموضوع « بالذات قائلا : « أريد أن أوضح لكم سيدي نقطه أراها مهمة حول تسمية هذا العالم كرئيس جامعة بغداد بعد إحالة الدكتور متي عقراوي على التقاعد بعد ثورة ١٤ تموز وكنت حينذاك عن قرب وعلى اطلاع حول الكيفية ومن كان المنافس والمعترض .. وكما كتبه أيضا الدكتور نجيب محيي الدين رئيس نقابة المعلمين آنذاك القصة كالآتي :

3/ قصة الرئاسة

يقول الخميسي : « طلبت الحكومة من مجلس الجامعة الذي كان يضم عمداء الكليات وآخرين وفق نظام الجامعة المعمول به آنذاك لترشيح ثلاثة من أساتذة هذه الجامعة ، فترشح كل من الدكتور عبد الجبار عبد الله ، والدكتور عبد العزيز الدوري ودكتور آخر (لم نتوصل إلى ذكر اسمه في البداية ، ولكن بعد نشر المقال في ايلاف ، اتصل بي الصديق الاستاذ الكبير محمد البلداوي واعلمني بأن الشخص الثالث المرشّح كان الدكتور صادق الخياط عميد كلية البيطرة وقتذاك ، وهو اخو الاستاذ المعروف جعفر خياط المترجم العراقي المعروف) وقام مجلس الجامعة بإرسال ملفاتهم إلى مجلس الوزراء ، وبعد دراسة مستفيضة للملفات المرشحين من قبل مجلس الوزراء طرحت الأسماء لتصويت المجلس . وكان من الحاضرين الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة لذلك اليوم رغم انه غير معني بها ، ولم يحضر إلا نادرا ولن يكن من مهماته التصويت أو الاعتراض لأن الأمر يخص رئاسة الوزراء ، وبعد الفرز تبين أن أكثرية الأصوات حازها عبد الجبار ويليه الدكتور عبد العزيز الدوري .. أما الثالث فلم ينل أي صوت وعلى هذا الأساس ، أعلنت النتيجة .. كل هذا جرى والزعيم عبد الكريم قاسم كان صامتا ولم يتكلم أبدا إلا الربيعي أبدى اعتراضه بحجة أن المنتخب من أبناء الصابئة المندائيين ، ولا يمكن أن يتولى الجامعة من غير المسلمين فرد عليه وزير الداخلية احمد محمد يحيى قائلا (سيدي إحنا نريد رئيس جامعه مو إمام جامع) فسكت الجميع وهكذا تم انتخاب عبد الجبار عبد الله بطريقه ديمقراطيه وليس عن طريق فرض من الزعيم عبد الكريم قاسم أو غيره لمؤهلاته الكبيرة دون منازع « (انتهى النص الذي كتبه لي الأخ عربي الخميسي) .

أما الصديق الدكتور رشيد الخيون ، فقد أورد في مقال له عن عبد العزيز الدوري النص التالي : « قال الدكتور صالح احمد العلي موضحاً حيثيات تولي عالم الفيزياء عبد الجبار عبد الله (ت ١٩٦٩) بدلاً عن عبد العزيز الدوري لرئاسة جامعة بغداد، مع أن الأخير كانت له خبرة تأسيس كلية الآداب وإدارتها لسنوات: «كان القانون يقضي أن يرشح مجلس الجامعة أسماء ثلاثة تختار الجهة العليا أحدهم لرئاسة الجامعة، وقد حاز الدكتور الدوري أكثر الأصوات، وتلاه الدكتور عبد الجبار عبد الله، ثم مرشح ثالث وضع اسمه لتكميل العدد... ولكن عبد الكريم قاسم اختار عبد الجبار عبد الله للرئاسة، فتوسع التباعد بين الدوري وعبد الجبار» (مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات) . وانقسم الجمهور العلمي والأكاديمي إزاء العالمين إلى يساريين مع عبد الله وقوميين مع الدوري، وظل الحال عليه حتى شباط ١٩٦٣، يومها اعتقل عبد الجبار عبد الله لأنه كان محسوباً على اليسار وعبد الكريم قاسم، ليصبح مؤرخنا . ويقصد الدوري . رئيساً للجامعة لكن وسط أجواء ملبدة وحرجة جداً « .

4. الزعيم عبد الكريم قاسم يحسم الامر

ولكن رواية تاريخية أخرى تقول بأن مجلس الوزراء قد اختار عبد العزيز الدوري بالإجماع ، ولكن رئيس الوزراء الزعيم عبد الكريم قاسم أصّر على أن يكون عبد الجبار عبد الله رئيسا لجامعة بغداد ، إذ انه حسم مسألة الاختيار على أساس تقدمية عبد الجبار عبد الله إزاء قومية عبد العزيز الدوري ناهيكم عن منطلق معرفته الأكيدة بكفاءة عبد الجبار ومنجزه العلمي وموهبته النادرة، حين رد بالقول: إن الثورة لا تفرق بين مذهب، ومذهب، ودين وآخر، بل جاءت لوضع كل إنسان عراقي مهما اختلف دينه وقوميته، وشكله في المحل المناسب. ويرى العديد من العارفين ، إن سمعة عبد الجبار عبد الله العلمية العالمية، وكفاءته العلمية، وصفاته الأخلاقية، واستقلالية تفكيره، ومنهجيته الصارمة والدقيقة كانت كلها عوامل أهلته لان يحتل هذا الموقع بجدارة وإخلاص. وخلال توليه هذه المسؤولية، قدم الكثير من أجل بناء وتطوير هذا الصرح العلمي، على الرغم من قصر الفترة التي تسنّم فيها رئاسة الجامعة. لقد كتب تلميذه أولا وزميله وصديقه المخلص الدكتور عبد الكريم الخضيري الأستاذ في جامعة بغداد لاحقا موضوعا تحت عنوان (عبقري الجيل) يسرد الخضيري في مقالته المذكورة بالتفصيل والإسهاب الشيء الكثير وذلك بحكم قربه مع د عبد الجبار عبد الله أثناء دراسته في أميركا ومن ثم العمل سوية ورفقته الطويلة معه وعلاقته العائلية الشخصية يكتب عن الراحل تفاصيل دراسته وتدريسية في الجامعات الأميركية وانجازاته ونظرياته العلمية في مجال علوم الأنواء الجوية ومن ثم يوضح جليا رؤية د عبد الجبار للنهوض بالواقع العلمي للعراق في ذلك الوقت وفي المستقبل وعن كيفية إدارته لجامعة بغداد حين توليه رئاستها كما يتطرق بعض شيء عن نمط حياته وحتى الأيام الأخيرة منها.

5.خدمات الرجل لجامعة بغداد

ومما قاله الدكتور الخضيري في مقالته خلال توليه رئاسة جامعة بغداد واقتبس منها ما يلي : –كان الدكتور عبد الجبار عبد الله يسابق الزمن للنهوض بمشروع الجامعة ولذلك شجع الأساتذة العراقيين في الخارج للعودة إلى الوطن ليشغلوا مواقعهم في الجامعة الوليدة وفي ذات الوقت نشط حركة إرسال البعثات العلمية إلى الخارج بالتعاون مع مجلس الوزراء ومديرية البعثات.. ومن الأمور التي شغلت باله كثيرا مسألة الكادر الوسطي أو الفني .كان يرى الزيادة في حملة الشهادات الجامعية ستؤدي إلى قلب الهرم في عدد المثقفين إذا لم تقترن هذه الزيادة بتوسع مقابل في أعداد الكادر الوسطي من حملة الدبلوم واعتبر أن معالجة المسالة مهمة من مهمات الجامعة لذلك أنشأ عددا من المعاهد .. يلتحق بها من أكمل الدراسة الثانوية ليمضي بها سنتين مثل معهد اللغات ،

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

ومعهد الإدارة العامة ، ومعهد الغابات ، ومعهد التمريض .. وانصرف في الجانب المقابل إلى العناية بقمة الهرم وإعداد دراسات الماجستير والدكتوراه .. وقرن هذه المهمة بالعمل لتنشيط البحث العلمي وكان يرى أن تنشيط البحث العلمي .وكان أول معهد ينشأ للبحث والدراسات العليا هو معهد بحوث المناطق القاحلة ، ليجري البحوث في النباتات العراقية المقاومة للجفاف والملوحة ،ولدراسة التربة وإيجاد الحلول لمشكلة الملوحة التي تهدد مستقبل الزراعة ،ودراسة البيئة وقد قبل عدد من الطلبة لدراسة الماجستير فيه ،وتولت الجامعة الإنفاق عليه وعين الدكتور رسول كمال الدين مديرا له وقد أصبح هذا المعهد من بعد نواة ل (مجلس البحث العلمي) ولأول مره أيضا تفتح كلية الزراعة في أبي غريب أبوابها لطلبة الماجستير عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ غير أن هؤلاء الطلبة أرغموا بعد شباط / فبراير ١٩٦٣ على ترك دراستهم العلمية وافلح بعضهم في إكمال دراسته العليا بالخارج. كان عبد الجبار عبد الله يؤمن تماما بأن الجامعة ينبغي أن تكون محايدة سياسيا ، ولم يقبل أن يتدخل أحد بشؤونها .. وكان ينزعج من تصرفات بعض القوى السياسية في داخل الجامعة ، ويرفض ممارساتها كلها .

العالم الفيزيائي : عين الاعصار

حدثني صديقي المهندس طالب مطلك أن خاله جليل شلال كان قد درس في ثانوية العمارة إبان نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين ، وكان مديرها الأستاذ عبد الجبار عبد الله السام الذي كان يدرّس الرياضيات .. واستطرد قائلا إن الطلبة كانوا يتعجبون عندما يرون أستاذهم يأتي صباحا وهو يحمل بيده مظلة والدنيا مشمسة ، فيقولون له : أستاذنا الدنيا اليوم مشمسة ، فلماذا تحمل الشمسية ؟ فيقول لهم : عندما أعود إلى بيتي ستكون الدنيا ممطرة ، وما أن يأتي عصر اليوم حتى تتلبد السماء بالغيوم لتنهمر مياه الأمطار ، فيمضي الأستاذ عبد الجبار إلى بيته وقد حمل مظلته تقيه المطر ، فكانوا يعجبون لتنبؤاته ! ويبدو أن هوايته وشغفه بالأنواء الجوية ومعرفته بحركة الرياح قد تمكنّت منه قبل أن يذهب للتخصص في هذا المجال .

لما كان عبد الجبار عبد الله قد عمل في الأنواء الجوية ، فلقد شاع انه قد تخصّص فيها ، علما بأن ليس له علاقة بالأنواء

لقد عالج في أطروحته نظرية الأمواج الجوية وتزايد طاقة مثل هذه الأمواج بواسطة سرعة مجموعتها . ومن أعماله الأخرى أيضا : دراسة التأثير الميكانيكي لموجة الهواء البارد على حدوث الأعاصير الحلزونية المدارية وتأثيراتها، وحدوث الزوابع)

الجوية ، وان تخصصه ومعظم أبحاثه بما فيها رسالة الدكتوراه كانت حول ديناميكا حركة الكتل الهوائية من مناطق الضغط العالي باتجاه مناطق الضغط الواطئ، وعلاقتها بما يسمى بالموجات الهوائية الصدمية ، كما اشتغل حول الأعاصير والرياح القوية والزوابع ، دارسا أسباب وطرق تولّدها والعوامل التي تساعد على نموها وأخذها أشكالها النهائية. كان خبيرا بطبقات الهواء المتباينة، وعلاقات تلك الطبقات مع بعضها البعض. ودرجات حرارتها، وأسباب اختلافها عن بعضها وفرق الضغط بينها، إضافة إلى دراسته العوامل والمؤثرات التي كانت تلعب دوراً مهماً في حدوث ونمو وتكامل الزوابع والأعاصير. ولقد خصص قسماً من أبحاثه لدراسة قلب الإعصار الذي يدعى (عين الإعصار) ، وله معادلاته الرياضية وتنبؤاته بصدد الأعاصير وكيفية مواجهتها والاستجابة لتحدياتها في البر والبحر .. والمدن . لقد عالج في أطروحته نظرية الأمواج الجوية وتزايد طاقة مثل هذه الأمواج بواسطة سرعة مجموعتها . ومن أعماله الأخرى أيضا : دراسة التأثير الميكانيكي لموجة الهواء البارد على حدوث الأعاصير الحلزونية المدارية وتأثيراتها ، وحدوث الزوابع ، مستخدما أسلوب الأعداد البيانية في اللوغاريتمات على قضايا الأنواء الجوية، ومعالجة قضاياها ، كما ودرس الموجات الجوية المنفردة واحتمالات وجود مثل هذه الموجات في الهواء الجوي. وأثبت وجود ذلك فعلا، كما بين إمكانية حدوث مثل هذه الموجات في الهواء الجوي، وكيف إنها قد تؤدي إلى خلق نشاط انتقالي يسبب بدوره نشوء إعصار قُمعي(على شكل قُمع). باتت دراسته بهذا الشأن طليعة الحقل الخاص من العلوم الذي أصبح يُعرف ب Mesometeorology والذي أزدهر، وغدا فرعاً مهماً من علم الأنواء الجوية ".ولما كان عبد الجبار فيزيائيا ماهرا ، فلقد درس شكل الحزم الحلزونية للإعصار وكيفية تكوّنها. فضلا عن سرعة الرياح ، وأستطاع توضيح شكل وسلوك الحزم الحلزونية في الإعصار سواء الحزم المنفردة منها أو المجتمعة. وبين أيضاً أن توضيح طبيعة الحزم الحلزونية يساعد على إعطاء معلومات مهمة عن طاقة الإعصار. إضافة إلى ذلك ألف الرجل وترجم عدة كتب مهمة منها، كتاب (الصوت) لطلبة الفيزياء في الجامعة، فكان خير مرجع لهم ولأساتذتهم. كما ترجم، مع زميل له، كتاب (مقدمة في الفيزياء النووية والذرية) لمؤلفه هنري سيمات ، وهي ترجمة أفادت أجيالاً من الفيزيائيين، طلبة وأساتذة. إضافة إلى أبحاثه العلمية قام بعمل تدريسي وتربوي كبير. فقد درّس في جامعة بغداد وفي كليات ومعاهد ومدارس أخرى .عبّر عبد الجبار عبد الله في أكثر من مناسبة عن آراء وأفكار قيمة عن كيفية النهوض بالبحث العلمي وبمجمل العملية التعليمية والتربوية في العراق. أمل في إمكانية التطرق إلى ذلك في وقت آخر.

آراؤه التربوية وفلسفته

تقوم فلسفة عبد الجبار عبد الله على المعرفة مرتكزا أساسيا للمجتمع ، والإيمان بدورٍ العلم في تطوير حياة الإنسان ايماناً مطلقاً، كما يؤمن بالإنتاج والإبداع البشري ، وان خير مقياس عنده من اجل تقدير تقدم المجتمع، هو مقدار ما ينتج فيه من بحوث علمية ، وإبداعات معرفية . وهو يؤكد هذه النزعة في حديثه عن العلاقة بين العلم والمجتمع ، بقوله: « البلد المتأخر هو ثقافة متأخرة، والثقافة هي جميع الطرق للعمل أو التفكير التي تعلّمها الناس في تاريخهم الحافل بالتطور. ولأن المجتمع (أي مجتمع) لا يمكن أن يعيش بمعزل عما يجري من حوله من تطورات علمية في مختلف صنوف الحياة. فلابد له من مواكبة التطورات التي تجري من حوله « . ويرى الرجل أن الجامعة باعتبارها المؤسسة العلمية الأولى ، يمكن لها ان تأخذ بيد المجتمع في التقدم بعد أن عرفت واجباتها نحوه. ويقترح عبد الجبار عبد الله مشروعاً تنموياً وحضاريا لتحقيق هذا الغرض الذي يضع الجامعة في خدمة المجتمع ، ولكي تقوم بهذا الواجب الاجتماعي الكبير. فلابد لها أن تنشئ لها كياناً وتقاليد خاصة بها تميزها عن سواها بمرتكزات وثوابت لا يمكن الحياد عنها ، ويأتي في مقدمة تلك الثوابت والمرتكزات : خلق العرف الجامعي واحترامه ، وتفعيل دور الجامعة في المجتمع ، الإيمان بقدرات الأجيال الجديدة ، الحرية الأكاديمية الفكرية ، وأخيرا استقلالية الجامعة باعتبارها سلطة معرفية . وأكد الشرطين الأخيرين في أكثر من مناسبة. بقوله : « إن الحرية الأكاديمية لا تأتي بالرغبة المجردة، ولا تتحقق بالنية وحدها، بل لابد من ممارستها دوما ، ولابد من التوصل إليها بالتجربة المضنية الطويلة «. أما استقلالية الجامعة كونها سلطة معرفية لا يمكن التدخل بشأنها ، فكانت متأصلة في فكر الرجل ، وظل يعمل من اجلها، بتحديد مضامينها وأساليب تطبيقها، لكي تكون جزءاً من حياتنا العراقية ، ومستقراً في دواخلنا ، ادراكاً منه بالترابط الوثيق بين الاستقلال الوطني واستقلال الجامعة. والإقرار بحتميتهما في الحياة .

وينتبه الدكتور ستار العبودي في كتابه عن الرجل ، كثرة استعاراته أقوال الفلاسفة وكبار رجال الفكر، في أحاديثه ونقاشاته. إذ يستعين بحكمة الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس)، وطروحات (غاليلو) ، وكتابات الفيلسوف (بيكون)، أو العودة للأساطير القديمة، والموروث الثقافي العربي والإسلامي، وتاريخ العراق القديم والحديث. ومحاولته استخدام قصص الخيال العلمي. وجميعها تشير إلى سعة اطلاعه ، وفيض قراءاته ، وثقافته العامة، وعمق تفكيره ، فضلاً عن تمتعه برؤية ثاقبة للإدارة التربوية الناجحة.

مواصفاته وخصاله العراقية

كان عبد الجبار عبد الله كما روى الصديق الأستاذ عربي الخميسي في مقال رائع له عنه وقد توثقت العلاقة بين الاثنين مذ سكن الاثنان في دارين متقابلين بمنطقة العلوية ببغداد عام ١٩٥٩ ، وبحكم الترابط العائلي صار قريبا منه ، فذكر الخميسي أن عبد الجبار عبد الله صاحب كلمة نافذة ، ويهتم بالشأن العام ، ويقّدس الحياة العراقية ، ويهتم بالجوانب المدنية لا العسكرية .. أنيقا على الدوام ، إذ كان دائم الاعتناء بقيافته منتظما ، ويقدّس المواعيد والزمن ، ونزيها نظيف اليد ، بحيث لا يستخدم السيارة الحكومية إلا كي توصله شخصيا إلى مقر عمله وترجعه إلى بيته ، إذ قد حّرم استخدامها شخصيا لبيته علما بأن سيارة متواضعة خاصة كان يمتلكها ، وهي صغيرة من نوع فولكسواكن بيتلز . كان متواضعا جدا ، لا يتقبل الاطراء عليه من الاخرين ، ولا يقبل أن يفتح له احد باب السيارة ، فلا يفّخم نفسه ولا يعظمّها .. عاملا ونشيطا لساعات طوال من النهار والليل ، وقد ينتهي الدوام الرسمي ، لكنه يأبى المغادرة إلى حين إكمال أعماله . كان يقدّس حياته العائلية ويرعى بيته وأطفاله مع معاملتهم بلطف كبير موجها ومرشدا رفقة زوجته التي كانت تعمل معلمة في إحدى المدارس . كان بيته أهم مكان لديه ، إذ يقضي وقته في عمل دائب وقراءات متنوعة وأبحاث عديدة . كان هادئا ومنسجما مع نفسه والآخرين . ويستطرد الأستاذ الخميسي قائلا عنه : « إن هذا الرجل إنسان أبيَ نزيه النفس ، لم ولن يستغل وظيفته الرسمية ومركزه الإداري كرئيس جامعة .. لأغراضه الشخصية ! فهو لم يطلب دارا أوسع ، أو سيارة خاصة ، أو سعيا لنقل زوجته لمدرسة اقرب ، ولم يتخذ أي موقف محاباة أو وساطة لأي فرد من عائلته أو غيرهم بالمطلق طيلة توليه مهام وظيفته حتى يوم الانقلاب ... وكان بإمكانه الحصول عليه لو أراد ذلك ومن المرحوم الزعيم عبد الكريم قاسم مباشرة.... كنت أهاب التحدث معه لا خوفا منه ولكن لوقاره وورعه ، ويخال لي بتصوفه وزهده وقناعته التي لا حدود لها ، راهبا منذائيا متصوفا ، فهو يفرض احترامه على من يتحدث معه دون أن يشعر به المقابل بلا نرجسيه أو تعصب ، يحترم رأي المقابل ويصغي إليه باهتمام« !

عمله في مجال الطاقة الذرية

لقد حرص الدكتور عبد الجبار عبد الله على أن يمتلك العراق مصادر الطاقة الذرية للأغراض السلمية في الفترة التي شغل فيها منصب نائب رئيس لجنة الطاقة للفترة من ١٩٥٨ .١٩٦٣، وتعد تلك المدة من أهم وأغنى المراحل التاريخية في الحصول على المعلومات المهمة في مجالات استخدام الطاقة في مختلف الفروع العلمية. وينبغي القول أن اهتمام العراق في هذا المجال قد تأخر عن موعده بعض الشيء . لقد أتيحت للدكتور عبد الجبار عدة فرص وتجارب سابقة إبان مرحلة دراسته أن يتعّرف على كثير من أسرار الطاقة الذرية . ويبدو واضحا لنا جميعا وبعد مرور نصف قرن على بدء المشروع وأفكاره في العراق ، إن عبد الجبار عبد الله كان واحدا من ابرز المؤسسين للمشروع من الذين عملوا بجد ومثابرة وإخلاص ، كي يؤسس لمجال الطاقة الذرية في العراق ، وقدم عدة إسهامات وبحوث ودراسات ، كما وترجم عدة مصادر بهذا الشأن ، فضلاً عن دوره في اختيار الموقع المناسب لبناء الفرن الذري للبحوث في بغداد.

اعتقاله واهانته عقب انقلاب ٨ شباط

عبد الكريم قاسم يجتمع باساتذة جامعة بغداد ويبدو عبد الجبار عبد الله يجلس قبالته

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

من شخصيات عهد الزعيم عبد الكريم قاسم

الدكتـور عبد الجبـار عبد الله

رئيس جامعة بغداد

صباح عبد الستار الجنابي

•و لد الدكتور عبد الجبار عبد الله في قلعة صالح – لواء العمارة عام ١٩١١

•اكمل دراستة الاعدادية في بغداد عام ١٩٣٠

•نال شهادة البكلوريوس في العلوم من الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٣٤

•حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الطبيعية (الفيزياء) من معهد مساتشوست للتكنولوجيا MIT في الولايات المتحدة الامريكية . و معهد مساتشوست للتكنولوجيا يعتبر ارقي جامعة علمية في العالم على الاطلاق حيث كان و ما يزال .

•عين استاذا ورئيسا لقسم الفيزياء في دار المعلمين العالية في بغداد من سنة ١٩٤٩ الى ١٩٥٨ ، و في خلال هذهالفترة رشح استاذا باحثا في جامعة نيويورك الامريكية بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٥ .

• في العام ١٩٥٨ عين امينا عاما لجامعة بغداد و وكيلا لرئيس الجامعة و استمر في هذين المنصبين حتى العام ١٩٥٩.

•في العام ١٩٥٩ عين رئيسا لجامعة بغداد.

• له العديد من البحوث العلمية التي نشرت في ارقى المجلات العلمية الامريكية و الاوربية.

• عضو في العديد من الجمعيات العلمية في امريكا و اوربا.

• استمر بمنصب رئيس جامعة بغداد حتى قيام انقلاب ٨ شباط الدموي حيث اقيل من منصبة .

• اعتقل و عومل معاملة مهينة عند اعتقاله بعد انقلاب ٨ شباط ١٠٦٣ الدموي.

و الحقيقة ان كل عراقي يفتخر في ان تكون بلاد مابين النهرين قد انجبت عالما عبقريا و وطنيا و ابا مربيا مثل الدكتور عبد الجبار عبد الله و قد لمس الزعيم عبد الكريم قاسم منه هذه المكانة العلمية العالمية العالية و الوطنية و الاخلاص لتربة العراق و ثورة ١٤ تموز ، فقرر ان تكون لجامعة بغداد الفتية منزلة علمية عالمية عالية من خلال ترؤس شخصية مثل الدكتور عبد الجبار عبد الله رئاسة جامعة بغداد.

و احب ان اضيف لسيرة الدكتور عبد الجبار عبد الله القصتين التاليتين لكي يقدر القارئ الكريم الفارق الكبير بين عهد الزعيم عبد الكريم قاسم و العهد الذي تلاة و تضيف اليه و صمة عار اخرى كان الكثيرون غافلين عنها.

القصة الاولى:

ان الزعيم عبد الكريم قاسم كان عراقيا صرفا و لا يفرق بين عراقي و اخر لاي سبب كان وكان دائما يلتمس مصلحة العراق و ابنائه في كل خطوة و قرار من قراراته.

جامعة بغداد ، جامعة فتية خطط الزعيم عبد الكريم قاسم لها مستقبلا كبيرا لتخدم عموم الحركة العلمية و الثقافية في عراق ١٤ تموز . وعليه فقد اختار اروع بقعة من ارض في بغداد وهي شبة جزيرة الجادرية التي تحيط مياه دجلة الخالد بها من ثلاثة جوانب، و هذه المنطقة تتميز ببرودة هوائها و جمال منظرها . كما يمكن الوصول اليها برا من خلال شبكة طرق حديثة و من خلال نهر دجلة بواسطة زوارق تخصص لهذا الغرض. كما اناط اعداد تصاميمها باشهر مهندس معماري في العالم و هو المهندس لوكوربزية (الولايات المتحدة) و بنفس الوقت و قع اختياره على الدكتور عبد الجبار عبدالله رئيسا لهذه الجامعة الفتية.و الدكتور عبد الجبار عبد الله عراقي ينتمي الى طائفة الصابئة المندائيين . و لم يعني هذا بالنسبة للزعيم الخالد اي محدد. فأولا و اخرا هو عراقي و هو يفتخر بكل عراقي.

طرح الزعيم عبد الكريم قاسم اسم الدكتور عبد الجبار عبد الله كمرشح لرئاسة جامعة بغداد الفتية الى مجلي الوزراء مبينا كفاءته العلمية العالمية العالية و ما سيقدمة هذا الرجل للجامعة من مكانة دولية علمية . عدد من اعضاء مجلس الوزراء مدعومون من قبل الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة رشحوا الدكتور عبد العزيز الدوري و شخصية اخرى . الزعيم عبد الكريم قاسم يعرف الدوافع من طرح اسم الدكتور الدوري و الاسم الاخر كمرشحين لهذا المنصب و التي اهمها كون الدكتور عبد الجبار عبد الله غير مسلم . و بنفس الوقت فالزعيم يعرف ارتباطات الدوري بالمخابرات البريطانية. انها المرة الوحيدة و الاولى التي يصر فيها الزعيم عبد الكريم قاسم على موقفه ويجبر مجلس الوزراء على تبني هذا الموقف.

حاول الفريق الركن محمد نجيب الربيعي التسويف و المماطلة بهذا الموضوع . و خلال كل اجتماع اسبوعي لمجلس الوزراء يذكره الزعيم عبد الكريم قاسم بملف رئيس جامعة بغداد، و يدعي انه قد نساه في البيت. استمر هذا الحال حوالي الشهرين و الموضوع بالنسبة للزعيم مهم و ملح لان خطوات مهمة ستبنى عليه.

ففي احد الاجتماعات عندما طالب الزعيم بفتح ملف رئيس جامعة بغداد ، ادعى رئيس مجلس السيادة السيد نجيب الربيعي عدم و جود الملف معه قال الزعيم في الاجتماع " انني و بحكم كوني القائد العام للقوات الوطنية المسلحة سوف اقوم بحل مجلس السيادة و نشكل غيره لان الكثير من الامور تتعرقل "، عندها ابرز الربيعي الملف و وقع الجميع عليه موافقين ترؤس الدكتور عبد الجبار عبد الله جامعة بغداد.

القصة الثانية.حدثني استاذي في الرياضيات في الجامعة الاستاذ الفاضل طالب محمود علي (خريج جامعة لندن بمرتبة الشرف في الرياضيات)، و كان الاستاذ طالب احد الذين اعتقلوا اثناء انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الدموي ، و قد حشر في احدى الزنزانات الصغيرة التي ملئت بالمعتقلين من شتى المستويات .

عرفت الدكتور عبد الجبار عبد الله كاحد المعتقلين في هذه الزنزانة. و كنا في الزنزانة واحد بجانب الاخر و ضهورنا مستندة الى الحائط و بهذه الوضعية كنا ننام يوميا و لا مجال للحركة فيها نهائيا.

يقول الاستاذ طالب " كنت لا استطيع ان ارفع عيني في مواجهة عين الدكتور عبد الجبار عبد الله لما له من مكانة علمية و شهرة عالمية و كنت اختلس النظرات واشاهده يغوص في تفكير عميق ثم تنهمر الدموع من عينيه ، في احد الايام استغليت فترة اخراجنا لدورة المياه و جلست بجانبه . القيت عليه التحية و عرفتة بنفسي وانا اخجل من كل كلمة اتحدث بها اليه . بعد ان توصدت الصداقة ، بيننا سالته يوما عن سبب انهما الدموع من عينيه قال " كان في قسم الفيزياء الذي ادرس به طالب فاشل ، حاولت عدة مرات مساعدته لكي يعدل من مستواة و لم يتعدل و مع ذلك عاونته. في يوم ١٤ رمضان ١٩٦٣ ، جاءت مجموعة من الحرس القومي لاعتقالي من بيتي، ميزت منهم طالبي الفاشل بسهولة ، و طلبت منهم امهالي عدة دقائق لكي ابدل ملابسي و اذهب معهم و انا اعرف انه ليس لدي ما احاسب عليه .

بدلت ملابسي و خرجت لهم ، وفجأة ضربني تلميذي راشدي قوي افقدني توازني، و كدت اسقط على الارض مع عبارة " اطلع دماغ سز " و لم يكتفي تلميذي و هو الان الحارس القومي بهذا و انما مد يدة بجيب سترتي و اخذ من قلم الحبر الذي اعتز به و لم يفارقني ابدا. هذا القلم الحبر هو من الياقوت الاحمر هدية من العلامة المشهور البرت انشتاين ، استخدمه لتوقيع شهادات الدكتوراه فقط .و هذا هو سبب حزني و انهمار دموعي كلما اتذكر هذا الحادث.

تصور عزيزي القارئ ان الدكتور عبد الجبار عبد الله و في بلده يضرب راشدي قوي و يقال له (اطلع دماغ سز) و اكبر الجامعات في العالم تتمنى ان تدوس قدماه حرمها. و اليوم و بعد سبعة واربعين سنة لا نستغرب هذا الحادث لان النظام البعثي عامل جميع العلماء و المفكرين العراقيين بهذه الطريقة و هو ما اوصلنا لهذه الحالة التي فيها العراق الان . ان الوضع الحالي امتداد لنظام البعث حيث ان العالم و المهندس و الطبيب هو المستهدف الاول للقتل المبرمج

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

عبدالجبار عبدالله والفراهيدي

مثنى حميد مجيد

ذات صباح في بيت بغدادي الطراز. الزمن ربما نهاية الخمسينيات من القرن الماضي. إمرأتان تتداولان الحديث وقت الإفطار عن رجل عجيب أمضى هزيع الليل وشطراً منه يعانق الريح ويرصد عناصر الطبيعة. هل كان الوقت صيفاً أم شتاء ؟ هل كانت السماء تمطر أم هو اجتياح هوائي يحمل زفير الصحراء ورمالها ؟ الذاكرة لا تسعف على الجواب. ولكن بالتأكيد كانت ليلة عاصفة هوجاء. قالت المرأة الأولى متسائلة باستغراب . طوال الليل وهو يعتلي السطح في عاصف الهواء . فعقبت الثانية موضحة . هذه عادته إنه يتابع الريح ويدرسها...

أما المرأة الأولى فكانت والدتي وأما الثانية فهي زوجة الخال الدكتور نعمان عبد الجادر وأما الرجل العجيب الذي يعانق الريح في الليلة العاصفة فهو الدكتور عبد الجبار عبد الله رحمهم الله.

ولعل هذه الذكرى الفريدة عن ذلك الحوار الصباحي الذي أعقب عاصفة الليل هي من حسنات ذاكرتي النكدة الضعيفة أنها تختزن وترشح أحياناً ما هو غرائبي واستثنائي من المشاهد المفعمة بالأسئلة والتساؤلات التي لا تحظى بالتفسير أو الإجابة فقد ظلت هذه الذكرى عن الرجل الاستثنائي العجيب الذي يمارس طقوسه الغريبة مع الريح العاصفة ثابتة في ذاكرة الطفولة. كنا في زيارة من الناصرية إلى بغداد وكان من عادة الدكتور عبد الله معاودة صديقه وزميله وأبن عمه الدكتور عبد الجادر والمبيت عندهم أحياناً وما عدا هذا المشهد ومشاهد قليلة أخرى لا تستعيد ذاكرتي شيئاً اخر يذكر عن ذلك الزمن البغدادي الغابر.

ومر عقد ونيف وفي عام ١٩٦٩ حطت طائرة أمريكية في مطار بغداد حاملة الجثمان الطاهر للدكتور العالم بناء على وصيته أن يوارى الثرى في أرض الوطن. وأبدى المندائيون حماساً وإصراراً لرفع الغطاء المحكم الإغلاق للنعش من أجل إخراج الجسد المسجى فيه وإجراء شعائرهم القديمة اللازمة في التكفين والدفن. وبعد جهد جهيد أفلحوا في فتح الغطاء. لم يشاهدوا سوى بضعة ورود حزينة تحيط الرأس رافقته من أرض الغربة . وبدلا من النعش الخشبي المحكم شيدوا نعشاً طقسياً رافدينياً من شدات القصب والبردي والحبال المفتولة من سعف النخل الأخضر بحسابات معلومة ومقاييس مفهومة وتراتيل محفوظة مختومة عبر قرون مديدة تماماً كذاك النعش القصبي الذي أشار إليه طيب الله ثراه الطاهر الإمام الشريف الرضي في رثائه لأبي إسحق الصابي الجد الأقدم للعالم عبد الجبار إذ قال :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ ... أرأيتَ كيف خبا ضياءُ النادي

جبلٌ هوى لو خرَّ في البحرِ اغتدى ... من وقعه متتابع الإزبادِ

ما كنتُ أعلمُ قبلَ حطَّكَ في الثَّرى ... أنَّ الثرى يعلو على الأطوادِ

في ذلك العام صدر عدد من صحيفة بغدادية اسبوعية مخصص للدكتور عبد الجبار تضمن بعض الصور العائلية له ومقالات عن حياته وإنجازاته ورسالة لأخيه وصديقه الدكتور عبد الجادر يعرب له فيها عن اشتياقه وافتقاده لجلساتهم الممتعة في حديقة دارهم ونيته في العودة إلى أرض الوطن لعدم رغبته في إشتراك نجله سنان في الحرب الأمريكية على فيتنام. وتضمن العدد ذكريات أصدقائه وزملائه عنه ورأيهم في ألمعيته وقدراته العلمية ومن ذلك سؤال وجه إلى زميله وصديقه الدكتور العلامة مهدي المخزومي فكان جوابه . أقول عنه ما قاله سفيان الثوري عن الفراهيدي أنه رجل يوزن بالذهب والمسك...

وقتذاك استحضرت ذاكرتي ذلك الحوار الصباحي الذي أعقب الليلة العاصفة عن الرجل العجيب الذي قضى شطراً منها يرصد الريح ويعانق العاصفة. لا شك أن مقارنة الأفذاذ من الناس بالذهب والمسك هو تشبيه على درجة من الروعة والجمال غير أني ما زلت أزداد ثقة وقناعة أن مقصد العلامة المخزومي كان أعمق معنى وأبعد مرمى من مجرد ظاهر التشبيه ولم تكن إجابته على سؤال سائله محض مجاملة عابرة في ذكرى صديق له وزميل في نفس الجامعة حين قارنه على وجه التخصيص بعبقرية كبرى كالخليل بن أحمد الفراهيدي أول فيلسوف بنيوي قبل اوربا بقرون مديدة وواضع أسس علمي الصوت والعروض.

الحقيقة هي أن الدكتور مهدي المخزومي قد أشر عنواناً عريضاً لإطروحة مقارنة كاملة في أسس عمل وميكانزم الأسلوب الجدلي اللامشروط الذي تعمل به العقول ذات الملكات والقدرات الذهنية والنفسية العالية المستوى إلى درجة الخارقية حين وضع الفراهيدي وعبد الجبار عبد الله على كفتي ميزان واحد من العبقرية.

كلاهما كان مفعماً بالحياة وينظر إلى مظاهرها وظواهرها ككائنات حية يستطيع محاورتها واستدراجها برهافة أحاسيسه فإذا تقربت منه أو أعطته عنانها وكشفت له عن بعض أسرارها وخوابيها عاد إلى قواعده العقلية والمنطقية ليحول ما منحته ووهبته من أسرار وجواهر إلى معادلات علمية رصينة وقوالب رياضية محكمة تشع بالضوء والكشف.

كلاهما كان يمتلك حاسة شديدة الشفافية في الإصغاء إلى وقع الأشياء وموسيقاها فحوّل الفراهيدي مخارج أنغام وألحان الطبيعة والإنسان والحيوان إلى تفعيلات وأوزان وقوالب وحوّل عبد الجبار عبد الله مخارج أصوات الريح والعواصف وتيارات الهواء بأمزجتها وأخلاطها ودورانها وتراصف طبقاتها أو تصادمها وإنسيابيتها وهياجها إلى معادلات رياضية مفيدة لدرء مخاطر الزوابع والأعاصير وما يرافقها من طوفان وخراب للحرث والنسل والعمران.

لقد أدهش زملاءه من علماء أمريكا حين كشف لهم عن سر باحت به أعاصير التورنادو في أذنه المرهفة حين أخبرهم أنها تصدر طنيناً كطنين الذباب معبراً عن ذلك بمعادلات رياضية مكنتهم من رصد تحركات هذا الغول الذي يحق تسميته بخمبابا أمريكا.

كلاهما كان يمتلك توازناً وتكافلاً في ميزان ملكاته وقدراته الذهنية والسايكولوجية مما خلق فيهما قدرة مضاعفة وديناميكية في جمع ما يبدو ظاهراً من النقائض.

كلاهما كان يطل ويتطلع إلى العالم من داخل العالم ويتخذ له مجلساً في قلبه. الفراهيدي كالبدوي في خيمة الصحراء وعبدالجبار عبدالله كأوتونبشتم في فلك الطوفان.

وبإسلوب علمي يصف الدكتور إبراهيم ميزر الخميسي في مقالة قيمة له طريقة عمل الدكتور عبدالجبار وصلته الحية والملموسة بمواضيع أبحاثه قائلاً :

(معظم أبحاثه كانت حول الأعاصير والرياح القوية والزوابع . درس أسباب وطرق تولّدها والعوامل التي تساعد على نموها وأخذها أشكالها النهائية. كان يصف ذلك بشكل مذهل حتى يخيل إليك أنه راكب مع تلك الموجات التي كان يبحث فيها، مندفع مع التيارات المتلاطمة والدوارة، سائر في طرقها الملتوية، الصاعدة منها والهابطة والحلزونية وغيرها. كان يبيّن بإمعان ووضوح طبقات الهواء المتباينة، الباردة، الأقل برودة، الدافئة والأكثر دفئاً، وكذلك علاقات تلك الطبقات مع بعضها البعض. كما بيّن درجات حرارتها، أسباب اختلافها عن بعضها و فرق الضغط بينها، إضافة إلى دراسته العوامل والمؤثرات التي كانت تلعب دوراً مهماً في حدوث ونمو وتكامل الزوابع والأعاصير. ولقد خصص قسماً من أبحاثه لدراسة قلب الأعصار الذي يدعى (عين الأعصار) .

الشيء المهم الذي تميزت به أعماله هو وصفه لما كان يحدث بمعادلات رياضية، يستطيع الباحث بواسطتها التنبؤ بحالات هبوب الأعصار. وعلى هذا الأساس يتم التهيؤ والاستعداد لمواجهة ذلك، حيث يتم إنقاذ السفن والبواخر التي تمخر عباب البحار والمحيطات، وأخذ الأحتياطات اللازمة في المدن)

هكذا كان عبدالجبار يدخل قلب العاصفه بفلكه الرياضي ليصف مساراتها ومساقط وأبعاد وأمزجة كتلها وتياراتها في لفها ودورانها وهبوطها وجيشانها وإحتمالات أهوالها وطوفانها وهكذا قبله بستة الاف عام شيد أوتونبشتم فلكه لينقذ ما يمكن إنقاذه من البشر ومن حضارة وادي الرافدين. وإذا ما أزحنا القشرة اللاهوتية الرخوة والمضللة عن لغة اوتونبشتم اخذين في الحساب ما تضفيه الترجمة من التباسات وحجب على معاني ودلالات النصوص القديمة سنصل إلى تلمس ومقاربة من الشفرة العلمية لتلك اللغة الرمزية التي يستخدمها أوتونبشتم في وصفه لقوى الطبيعة الهائجة وهو يرصدها من نافذة فلكه العائم في قلب الطوفان وما أشبهه بذاك الرجل العجيب الذي شد إنتباهي الطفولي وهو يرقب العاصفة البغدادية أو وهو يتوغل في أعماق أعاصير التورنادو ليفككها في معادلات رياضية تشد إنتباه علماء أمريكا وتؤسس لعلم جديد في السيطرة على الزوابع والأعاصير وتلافي مخاطرها ..

وحل أجل الموعد المعين

وفي الليل انزل الموكل بالعاصفة مطرا مهلكا

وتطلعت الى حالة الجو فكان مكفهرا مخيفا للنظر

فولجت في السفينة وأغلقت بابي

ولما ظهرت أنوار السحر

علت من الأ فق البعيد ، من أسس السماء ، غمامة ظلماء

وفي داخلها أرعد الاله . أدد .

وكان يسير أمامه . شلات . و . خانيش .

وهما ينذران أمامه في الجبال وفي السهول

ونزع الاله . نيركال . الاعمدة

ثم أعقبه الاله . ننورتا . الذي أطلق الرعود وفتق السدود

ورفع ال . انوناكي . المشاعل

وجعلوا الارض تلتهب بأنوارها

ولكن بلغت رعود الاله . أدد . عنان السماء فأحالت كل نور الى ظلمة

وحطمت الارض الفسيحة كما ، يتحطم ، الكوز

وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوما كاملا

وازدادت شدة في مهبها حتى غطت الجبال وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان

وكما وصل الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى ذرى المعرفة مفككاً خيمته بأوتادها وحبالها وأسبابها عائداً بجواهر ابتكاراته ليرصفها مقاطع صوتية وأوزان وقوالب شعرية وكما آب عبدالجبار عبدالله من قلب الإعصار محملاً بأسرار زمجرته وغوامض مفازاته ووديانه ومجاهيل مساراته وطرقاته لينظمها معادلات رياضية مشرقة كذلك كان قبلهم بدهور أوتونبشتم السومري حين وصل بفلكه إلى بر النجاة ومرفأ الحياة والمعرفة ..

ثم هدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان

وتطلعت إلى الجو ، فرأيت السكون عاما

فتحت كوة طاقتي فسقط النور على وجهي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

العالم عبد الجبار عبد الله يوم التقيته

عربي الخميسي

كلمة القيت بمناسبة الاحتفال بالعالم الراحل في استراليا

تمضي الايام والسنون ، وان كان هناك ذكريات من ذلك الزمن الغابر فذكرى العظام لن تنسى ! والمعروف ان التاريخ يـؤرِّخ امـورا حياتية كثيرة، فهو يتحدث عن واقعة مُعينة وفعل معين او شخصية لها مأثرها ، حرب ، عيد ، ظاهرة طبيعية او اجتماعية ، وضع اقتصادي او سياسي مثلا ، ولادة شخص عظيم او وفاته ، او انعطافة اجتماعية او ثوريهة كل هذه وغيرها من امور كثيرة ، قام بتدوينها المؤرخـون ومن ذوي الاختصاص اوكتاب السير والقصص والروايات نقلا ام تعايشا وهكذا ..

نعم ايـها المتلـقي الكريم ، اردت بـهـذه الـكـلـمـات البسيطة ان اشير الى رمز مهم من رموز العراقيين عامة والمندائيين خاصة ، ذات الوقع المميز في قلوبهم وفي تاريخهم المعاصر ، يستحق منا جميعا اسـتـذكـاره واحـيـاء سيرتـه وعـرض مـنـجـزاتـه تـلـك هي الشخصية العراقية المندائية الفذة العالم الدكتور عبد الجبار عبد الله .. وهذه شهادتي العيانية مما تبقى من خزين الذاكرة لأيام زمان

لست انـا وحـدي من يشيد بعظمة هذا الرجـل بـل ، كـل رفـاقـه من العلماء وزملائه وتلاميذه ومعارفه ومن اختلط بـه او تـعـرف عليه وشتغل معه وغيرهم من الـنـاس ، في كل المـجـالات العلمية وخـلال العلاقات الاجـتـمـاعـيـة والاداريـــــة والنشاطات الاخرى الثقافية والادبيه .. وبالنسبة للمندائيين فهم ليسوا بحاجة من يعرفهم به باعتباره الشاخص الدال والمثل الاعلى والوجه الساطع والمضئ لأمـتـدادات الشخوص العلمية المندائية سابقا والمحدثين منهم حاليا ، وبعد هذا كله اطرح السؤال الاتي ترى اما يحق للمندائيين بـل الـعـراقـيـين عـمـومـا ان يـؤرخـوا مـولـد هذه الشخصية او يوم رحيلها ؟ وهو مجرد تساؤل مشروع ....؟

وهنا ساتحدث لكم كيف ومتى التقيته

في سنة ١٩٤٢ / ١٩٤٣ كنت احد طلبة الصف الخامس العلمي في الثانوية المركزية في بغداد قبل ان تصبح اعدادية ، وكانت الدراسة بها سنتين وليست ثلاثة ، وكان مديرها آنذاك الاستاذ رشيد سلبي ويعاونه الاستاذ علاء الريس ، اما عبد الجبار عبد الله فقد كان بها مدرسا يقوم بتدرس مادة الفيزياء للصف الخامس العلمي ، وان هذا الصف كان يضم ست شعب ولم يكن من نصيبي ان اكون احد طلابه ، فقد كان مدرسنا الاستاذ المرحوم السيد هاشم الحسني ، والثلاث الاخريات من الصفوف للاستاذ عبد الجبار عبد الله ، وكانت كتب الفيزياء التدريسية لمادتي الصوت واخرى لا اتذكرها من تاليفه هو والاستاذ السيد هاشم الحسني مشتركا ، وكانت المدرسة تضم حـوالي الستمائة طالبا للصفين الرابع والخامس..

وللحقيقه اقولها ، كنت اشعر باحساس غريب وبشيء من الزهو والفخر لا اعرف كنهه ، عند ما كان يرد اسم هذا الرجل باحاديث الطلبة والاسـاتـذة الاخـريـن ؟ .. وكـلـهـا تـمـجـد هـذه الشخصية وقدراتها العلمية..؟

وانـتـهـت الـسـنـة الدراسيه ، وذهب كل منا الى حال سبيله ، فالاستاذ سافر الى الخارج للدراسة حسب علمي ، وانا ذهبت للتعليم وعينت معلما لاحدى المدارس الأبتدائية في بغداد ، ومن خلال تناقل الاخبار كنت اسمع عنه وعن عبقريته وتفوقه في دراسته في امريكا،.. وكيف رزق هو وزوجته ولديهما التوأمين كل من الاستاذين الموقرين سنان وهيثم عبد الجبار عبد الله السام ، خلال ما كانا على ظهر الباخرة التي ابحرا فيها في طريقهما للولايات الامريكية المتحدة ....

وفي السنة الدراسية التالية تم قبولي بالكلية العسكرية ، فاصبحت ضابطا

واشتغلت بالجيش العراقي برتبة مـلازم في كثير من الوحدات العسكرية وبمختلف المناصب ، وتدرجت بالرتبة العسكرية و بعد عوتي من الدراسة في انكلترا على حساب الجيش دخلت كلية الاركان ، كأول صابئي مندائي يلتحق بهذا المعهد العسكري العالي ، وكنت اناضل من اجل اثبات الـوجـود وللحصول على ما ابتغيه رغم الصعاب التي كانت تواجهني ، وكنت اتذكر دوما رجالنا الكبار المعاصرين الاعلام الخالدين عبد الجبار عبد الله وغضبان رومي ونعيم بدوي هؤلاء المربين الأجلاء .. كنت اضعهم امام عيني دوما كقدوة عليا لي ، واحاول ان احذو حذوهم واشق طريقي بالحياة دون عون او رعايه من احد ، حيث لا احد من عائلتي اومن المندائيين كانت له القدرة على ابداء المساعدة في حينه ، كما كانت تسير الامور آنذاك ... ومع ذلك كسبت ود ورضا القادة العسكرين الذين اشتغلت معهم او بمعيتهم جميعهم ، حتى جاءت ثورة ١٤ / تموز سنة ١٩٥٨ وصدر امر تعييني على الفور بموقع البصرة بعد الثورة مباشرة ، وفي منصب حساس قمت فيه بتأدية الواجبات الموكلة لي بكل اخلاص وامانة وبحس وطني عراقي خالص وباحسن ما يمكن ، الا ان الامر لن يرضي كل الاطراف في الصراع الذي كان قائما بين قوى الشر والخير ، والذي اخذ طابع الحدية بينهما آنذاك ، لأسباب ليست من صلب موضوعنا هذا .. وفي الآخر حدث ما حدث

لست انا وحدي من يشيد بعظمة هذا الرجل بل ، كل رفاقه من العلماء وزملائه وتلاميذه ومعارفه ومن اختلط به او تعرف عليه وشتغل معه وغيرهم من الناس ، في كل المجالات العلمية وخلال العلاقات الاجتماعية والادارية والنشاطات الاخرى الثقافية والادبية ..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

، وكان ما حصدته ان اكون اول ضابط عراقي بالجيش يحال على التقاعد وثورة تموز لا زالت طرية ندية ...!

وهكذا رجعنا الى بغداد من حيث اتينا ، ولنبدأ من الصفر ، وهنا اكمل قصتي والمرحوم ابي سنان عبد الجبار عبد الله ..

ولما لم اكن املك دارا سكنية في بغداد ، صار علي ان افتش لأستئجار واحدة ، وبمساعدة الاخت المرحومة السيدة بلقيس عنيسي الأنسانة طيبة الذكر زوجة ابن العم المرحوم غريب جابر مخيطر ابو معتز عديل عبد الجبار عبد الله حصلت على واحدة ، ..وشاءت الصدف ان تكون هذه الدار بمقابل دار ابي سنان تماما ، ولا تبعد عنها سوى بضع امتار بعرض الشارع الفاصل بيننا ، في محلة العلوية – بغداد قرب الجامعة التكنولوجية حاليا . وهنا سنحت لي الفرص ان اشاهده عن قرب ، واتبادل التحية والحديث احيانا مع رئيس جامعة بغداد الدكتور عبد الجبار عبد الله ..

كانت دار سكن ابي سنان وعائلته ملاصقة لدار عديلة وبما يسمى بالانكليزية (تون) كان قد اشرف على بنائهما المرحوم المهندس غريب جابر بمساحة ٣٠٠ متر مربع لكل دار وعلى نمط واحد وبمشتملات قليله متشابهة تماما لكليهما ، ومن خلال تواجدي بهذه الدار المستأجرة وبحكم الرابطة الاسرية بيننا ، سنحت لي الفرص الأطلاع على بعض الأمور الشخصية والعائلية لهذه الاسرة المندائية الكريمة ، وتصرفات الراحل الخاصة الى حد ما ، واسلوب تربيته لأولده وتعامله مع زوجته وعيال بيته و موقفه من المرأة بشكل عام ، وهنا اعتقد ان هذا الجانب الشخصي والانساني من حياته ، سيسلط الضوء على نمط التعامل والممارسات مع الغير من خارج دائرته الضيقة الى العامة ، وعليه لا غرو ان ابين جانب مهم من جوانب حياة المرحوم ، هذا الجانب الذي لا يعرفه احد لأنه يعتبر من الامور الشخصية البحتة ..

ففي كل صباح كنت اشاهده ، واقفا امام باب داره وهو جاهز بكامل قيافته ينتظر السيارة الحكومية الخاصة التي تنقله الى مبنى الجامعة، وما من يوم اتى سائق السيارة وقرع جرس الباب على الاطلاق ....! فهو حاضرا متهيئ حاملا حقيبته الصغيرة التي لا تفارقه ابدا، وبعد التحية وسؤال السائق عن احواله واموره الشخصيه يقوم هو نفسه بفتح باب السيارة للولوج داخلها ، ولم يدع السائق بفتح الباب ابدا ، وفي الساعه الثالثة واحيانا الرابعة مساء كل يوم يعود ابو سنان لبيته رغم ان الدوام الرسمي كان قد انتهى منذ ساعات ، وحال نزوله من السيارة يأمر سائقها بالعودة من حيث اتى ، ولم اذكر أبدا ان تلك السيارة لأغراض شخصيه لنقل عائلته مثلا .. ! او جلب حاجة معينة من الاسواق التي اقربها تبعد عن داره بحوالي الكيلومتر والنصف ، كما لم ار على الاطلاق ان زوجته ام سنان استخدمت تلك السيارة يوم ما لأيصالها الى مدرستها التي كانت تعمل بها كمعلمة ، وحتى الاولاد الصغار لم يركبوها يوما ..

وبعد عودته من الجامعة مساء ، يتولى رعاية اطفاله الصغار ويعاملهم بكل لطف ورقة وحنان كان ابا مثاليا بكل معنى الكلمة ، فكان يصطحبهم خارج البيت ويقوم بجولة معهم نحو حديقة صغيرة كانت قريبة نسبيا من الدار باتجاه بارك السعدون ، وليعطي الوقت الكافي لربة البيت لتهيئة الطعام وتوضيب امورالعائله الاخرى ، ولأن ربة البيت كانت قد عادت من الدوام هي الاخرى ..

وبعد هذه الجوله القصيره وفي حالة عدم رجوعه ثانية الى الجامعه كأمر عادي ونادر ، كنت اراه جالسا في احد غرف الدار التي اتخذها مكتبا له ، وهو منهمكا بالقراءة او الكتابه حتى وقت متاخر من الليل ، اشاهده من خلال الاضوية المنارة ، واحيانا يقوم مساء باستقبال بعض زواره من الاساتذة كما يترآى لي ....

هذا الرجل كان يعيش وعائلته بهدوء وانسجام

سافر ابو سنان الى امريكا وخلال استقراره هناك ، كنت اقرأ بعض رسائله التي كان يرسلها الى ابن عمه المرحوم ابراهيم وهام سام الصائغ في شارع النهر، والتي يؤكد فيها حبه للعراق ونبضه لأهله واصدقائه ومعارفه ، ولن ينسى البيت والحديقة والجيران ونخلة البرحي ، وخلال مكوثه في المستشفى كان يقول ان زائريه كثيرون ، وما يفرحه ان بعضهم لم يعرفهم او يلتقي بهم من قبل وهذا ما يخفف عنه الام مرضه ,,,!

تام ، شأنه شأن اي انسان سوي ، لم اسمع او ارى حدثا او واقعة تجلب الانتباه او تدعو الى التساؤل او الاستغراب ، وذلك طيلة مدة مكوثنا مقابل دار هذه العائلة الكريمة الهادئة المطمئنه المستقرة ..

ومن خلال سؤالي اثناء حديث عابر معه باحد الايام ، عن سبب تاخره بعد انتهاء الدوام الرسمي ..؟ اجابني قائلا ليس نصا ولكن بما معناه ... الوظيفة يا ابو رغيد مسألة ضمير واخلاق قبل ان تكون مسؤولية قانونية خاصة ما يتعلق منها بشؤون الناس فلا يجوز اهمالها او تاخير البت فيها اوتأجيلها الى يوم غد كنت اهاب التحدث معه لا خوفا منه ولكن لوقاره وورعه، ويخال لي بتصوفه وزهده وقناعته التي لا حدود لها، راهبا مندائيا متصوفا ، فهو يفرض احترامه على من يتحدث معه دون ان يشعر به المقابل بلا نرجسية او تعصب ، يحترم رأي المقابل ويصغي اليه باهتمام ،سالني ابو سنان يوما قائلا (لماذا دخلت العسكرية وهي بالضد من معتقدك وتوجهاتك وليس لك من يحميك بالجيش كما كان سائدا ايام الحكم الملكي) فاجبته باسبابها ، الا انه لم يقتنع بها واضاف قائلا يمكنك الان اكمال دراستك الجامعية حيث لا زلتَ في مقتبل العمر ..! وكانت نصيحة ثمينة لن انساها ابدا ، فاخذت بها وقد غيرت مجرى حياتي فيما بعد والتحقت بالجامعة المستنصرية حيث أنهيت دراستي الجامعية.

تعرض هذا العالم الجليل الى الأساءة يوم الانقلاب الاسود في ٨ / شباط / ١٩٦٣ مع الاسف الشديد ، ولم تشفع له منزلته العلمية الرفيعة ، وإداؤه الوظيفي المميز ، حين حل الحقد الاسود بقلوب الجهلاء ، وعمت البغضاء ، واكتسحت الاثام البلاد باسرها ، وشوهت كل ما هو خير ، وخربت كل ما هو جميل ، واباحت القيم والاخلاق وزهقت ارواح الابرياء دون ذنب ، وكان الراحل احد ضحاياها وقد اصابه ما اصاب من قهر واضطهاد وتعسف والاستهزاء به وبعلمه ، سببت له اللوعة والالم في أعماق نفسه وصلت الى حد الاحباط وخيبة الامل ، فزج به داخل المعتقل ، وتعرض الى الاهانه وسوء المعاملة، وبقى في سجون الانقلابيين حوالي ستة شهور دون سبب مبررا وتوجيه تهمه معينة ، وتحت تاثير ضغوط الرأي العام المحلي والعالمي اخلي سبيله ، ولم تمض مدة طويلة على خروجه من المعتقل شد رحاله وعائلته ، ورحل الى الولايات المتحده بناء على تلقيه دعوة من جامعاتها التي كانت تعرفه وتقدر منزلته العلمية جيدا ، الا ان فترة اعتقاله الرهيبة سببت له صدمة نفسية وحسرة واسف على ما حل بالعراق ومزيدا من الألم كتمه ولم يبح به لأحد ، قيل انها كانت سببا مباشرا لمرضه المستعصي ووفاته من جرائها لاحقا ..

سافر ابو سنان الى امريكا وخلال استقراره هناك ، كنت اقرأ بعض رسائله التي كان يرسلها الى ابن عمه المرحوم ابراهيم وهام سام الصائغ في شارع النهر، والتي يؤكد فيها حبه للعراق ونبضه الوطني وذكرياته لأهله واصدقائه ومعارفه ، ولن ينسى البيت والحديقة والجيران ونخلة البرحي ، وخلال مكوثه في المستشفى كان يقول ان زائريه كثيرون ، وما يفرحه ان بعضهم لم يعرفهم او يلتقي بهم من قبل وهذا ما يخفف عنه الام مرضه ,,,!

رحل عبد الجبار عبد الله والى الابد ولكن عطاءه العلمي بقي وسيبقى خالدا ، وجيأ بجثمانه الى بغداد ليدفن بين طيات اديم العراق ، تنفيذا لوصيته التي تعبرعن بالغ حبه للعراق وصدق عواطفه له ، ومدى تعلقه بارض الوطن وشعبه وقيمه وسعادة اهله ومستقبلهم.

كان يوم تشييع جثمان الراحل المغطى باكاليل الزهور من دار والده الشيخ الجليل الكنزفرا عبد الله الشيخ سام رئيس طائفة الصابئةالمندائيين ، الواقعة في محلة الكريمات قرب السفارة البريطانية القديمة يوما مشهودا مهيب ، حضر هذا التشيع جمهور غفير ضم بنات وابناء الطائفة ورجال دينهم ، ووفدا حكوميا رسميا كان رئيس جامعة بغداد الدكتور السيد جاسم سيد خلف على رأس الوفد ، يصحبه اساتذة وتدريسيون من الجامعة ومن خارجها وكنت شخصيا مشتركا بهذا التشييع الاليم لهذا الرجل الخالد ...

العالم الانسان الدكتور عبد الجبار عبد الله على المستوى الشخصي ، نخلة برحي باسقة من نخلات بستان عائلة آل سام المندائية الموقرة في مدينة قلعة صالح ، شجرة طيبة الثمر، كثيرة العطاء، قدم للوطن والعالم عصارة فكره وعلمه وخبرته وبحوثه العلمية، رجل ديمقراطي بمعنى الكلمة ، قليل الكلام ، يسمع اكثر مما يتكلم .. وان تكلم اوفى واوجز بما هو احق وأصوب، ثاقب الرؤى ، رزن ، متزن ، هادئ الطبع ، قوي الحجة واثق منها ، لطيف التعامل مع الغير ، صديق كل الناس ، متأني بتصرفاته وممارساته الشخصيا ، انسان سوى بسيط متواضع ، ميال لعمل الخير ، وذو قلب لا يعرف الكره والبغضاء ، همه سعادة الانسان عن طريق العلم والمعرفة ، يتمتع بحس عراقي وطني خالص واصيل لا ينازعه به احد ... يحب عائلته وعائلته تبادله الحب ، ويحضى باحترام وتقدير زوجته السيدة الفاضلة قسمة عنيسي الفياض واولاده، وباقي افراد الاسرة المندائية الكبيرة ، ويحبه كل من عرفه او تعرف عليه من بني البشر ..!

هكذا عرفت الراحل العالم الدكتور عبد الجبار عبد الله انسانا وابا وصديقا مخلصا امينا عراقيا مندائيا مسالما

الذكرى الطيبة والخلود كل الخلود لأبي سنان العالم الدكتور المرحوم عبد الجبار عبد الله السام يعيش العراق وشعبه الابي بكل اطيافه الجميلة منبعا للعلم والعلماء الخالدين

عبد الجبار عبد الله اثناء اقامته في امريكا

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

عبد الجبار عبد الله
الريادة في علم الأنواء الجوية *

ابراهيم ميزر الخميسي

إن من يطلع على الأعمال والأبحاث العلمية التي قام بها د.عبد الجبار عبد الله ، وكذلك على كتبه وترجماته ومقالاته العامة ونتاجه وآرائه وأفكاره في العملية التعليمية والتربوية يدرك القيمة الحقيقية لمكانته كعالم مرموق في مجال الأنواء الجوية، ويعرف أنه ريادي في بعض فروع هذا العلم وأستاذ جامعي ومرب وتربوي قلّ مثيله. عندئذ يفهم المرء مقدار الخسارة التي مني بها العراق لدى فقدانه عبد الجبار عبد الله. ويشعر المرء بالحزن العميق عندما يعرف ما ألمّ به إثر الانقلاب الدموي في شباط ١٩٦٣ حيث إن ذلك العالم الكبير والأستاذ الجليل والمربي الفاضل والأنسان المتواضع المحب لوطنه وشعبه قد ضُرب وأهين وأُلقي به في السجن.

ومع الأسف فإن ذلك الحزن ما يزال مخيماً على العراقيين إذ يفقد العراق المئات من العلماء والأطباء والمهندسين والفنانين والمبدعين في مختلف المجالات يفقدهم بين قتيل أو مهاجر. وفقدانهم يعتبر خسارة لايمكن تعويضها فهم الخبراء والمهرة وأصحاب التجارب الكبيرة في أعمالهم واختصاصاتهم. وما أشد الحاجة إليهم اليوم حيث يريد بلدنا أن ينهض من جديد!

لقد حُرم العراق من الكفاءات والخبرات المتميزة لرائد علم الأنواء الجوية في العراق الحديث عبد الجبار عبد الله عندما اضطر للهجرة إلى امريكا. وهناك نشر معظم أبحاثه العلمية سواء اثناء دراسته لنيل الدكتوراه أو بعد عودته إليها ثانية. وتدل مقالاته العلمية على انه كان في قلب الجبهة الأمامية لعلم الأنواء الجوية في ذلك الوقت. إن أبحاثه تشير إلى خيال خصب وأفق واسع وإطلاع وفير لهذا العالم الجليل في مجال تخصصه. كان في بداية كل بحث من بحوثه معتاداً أن يوجز أهم ما توصل إليه الباحثون الآخرون، ومن ثم يبيّن أهمية الموضوع الذي يتناوله هو أو النموذج الجديد الذي يضعه، يدخل بعد ذلك في صلب البحث نفسه، ليصل أخيراً إلى النتائج النهائية مقارناً إياها بالنتائج العملية المتوفرة.

معظم أبحاثه كانت حول الاعاصير والرياح القوية والزوابع. درس أسباب وطرق تولّدها والعوامل التي تساعد على نموها وأخذها أشكالها النهائية. كان يصف ذلك بشكل مذهل حتى يخيل إليك أنه راكب مع تلك الموجات التي كان يبحث فيها، مندفع مع التيارات المتلاطمة والدوارة، سائر في طرقها الملتوية، الصاعدة منها والهابطة والحلزونية وغيرها. كان يبيّن بإمعان ووضوح طبقات الهواء المتباينة، الباردة، الأقلّ برودة، الدافئة والأكثر دفئاً، وكذلك علاقات تلك الطبقات مع بعضها البعض. كما بيّن درجات حرارتها، أسباب اختلافها عن بعضها و فرق الضغط بينها، إضافة إلى دراسته العوامل والمؤثرات التي كانت تلعب دوراً مهماً في حدوث ونمو وتكامل الزوابع والاعاصير. ولقد خصص قسماً من أبحاثه لدراسة قلب الاعصار الذي يدعى (عين الأعصار) [١].

الشيء المهم الذي تميزت به أعماله هو وصفه لما كان يحدث بمعادلات رياضية، يستطيع الباحث بواسطتها التنبؤ بحالات هبوب الأعصار. وعلى هذا الأساس يتم التهيؤ والأستعداد لمواجهة ذلك، حيث يتم إنقاذ السفن والبواخر التي تمر عبر البحار والمحيطات، وأخذ الاحتياطات اللازمة في المدن.

باكورة أعماله العلمية كانت إطروحة الدكتوراه حيث (عالجت نظرية الأمواج الجوية وتزايد طاقة مثل هذه الأمواج بواسطة سرعة مجموعتها) [٢].

من بين أعماله، على سبيل المثال، بحث لدراسة التأثير الميكانيكي لموجة الهواء البارد على حدوث الأعاصير الحلزونية المدارية [٣]. وهو بحث نظري تناول التأثيرات والاضطرابات والتخلخلات الضغطية، والاختلافات في درجات الحرارة التي تحدث حينما تتحرك طبقات الهواء البارد إلى الأعلى، مخترقة جبهة الموجة التي تفصلها عن طبقات الهواء التي تقع فوقها والتي هي ادفأ منها. وهذا بدوره، دون الخوض في تفاصيل عديدة، يشكل الجانب الميكانيكي الذي يؤدي إلى حدوث الزوابع. وأشاراثنان من العلماء الأمريكيين البارزين في علوم الأنواء الجوية هما هورتز و اوبراني [٢] الى اهمية هذا العمل(لأنه يدل على التطبيق الأصيل لأسلوب الأعداد البيانية في اللوغاريتمات على قضايا الأنواء الجوية. وفي بضع سنوات فقط حذت أبحاث عديدة حذو ما توصل إليه د. عبد الجبار. واستخدمت هذه الأداة الجبارة في حل معادلات تفاضلية جزئياً غير خطية زائدية المقطع في معالجة القضايا الجوية).

وفي مقالة أخرى [٤] درس د. عبد الجبار حدوث ونمو وتكامل عين الاعصار. والاعصار يبدأ كدوامة صغيرة، ثم تكبر وتنمو عين الاعصار، فتكون ضيقة، دافئة، واضحة و تحدّها ريح قوية وفرق بالضغط شديد الكثافة. وهذه الحالة غير مستقرة، مما يؤدي إلى تغيير شكل العين، فتأخذ بالتوسع، وقد تكون غير دافئة، غير واضحة وتقل كثافة فرق الضغط. وباستخدام موديلات(نماذج) رياضية مبسطة عن طريق إهمال بعض العوامل مثل تأثيرات الاحتكاك ودوران الأرض على التحركات الجوية، استطاع د. عبد الجبار توضيح بعض الخصائص المهمة لهذا الاعصار وامكانية التنبؤ بحدوثه. وله دراسات اخرى حول عين الاعصار (انظر، على سبيل المثال، المراجع ١١ و ١٢ في [٢]).

وقد خصص بعض بحوثه[٥-٧]إلى دراسة خصائص خطوط العاصفة. كان يلاحظ أن تلك الخطوط، التي تشكل مقدمة الجبهة الباردة للعاصفة والتي تندفع بتعجيل معين،يجري نموّها طوليا. قام د. عبد الجبار بوضع محاولة [٦] لتوضيح صفات خطوط العاصفة والتي تُدعى أيضاً خطوط قفز الضغط وكذلك لاستنتاج معادلة رياضية يُستطاع من خلالها التنبؤ بذلك النمو. لقد اعتمد في موديله(نموذجه) على عدة فرضيات منها: إن مستوى هبوب العاصفة افقي وخال من أية ارتفاعات، وإن تعجيل الجبهة الباردة ثابت كما إن تلك الجبهة الباردة لا تحتوي على اية سرع جانبية إثناء جريانها. اعتماداً على هذه الفرضيات استطاع من اشتقاق معادلة رياضية يمكن بواسطتها دراسة كيفية تشكل ونمو خطوط العاصفة او الزوبعة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

وكذلك التكهن بوقوعها.
درس د.عبد الجبار في أعمال اخرى له الموجات الجوية المنفردة [٨-٩]. كان يُعرف بوجود موجة منفردة في المياه الضحلة، وهي عبارة عن ارتفاع منفرد على سطح الماء، يسير، دون أن يغير شكله، إلى مسافات بعيدة. بحث د. عبد الجبار في احتمالات وجود مثل هذه الموجات في الهواء الجوي. وأثبت وجود ذلك فعلاً، أي وجود ارتفاع منفرد في السطح العلوي لطبقة من الهواء، ينتقل لمسافة كبيرة على ذلك السطح. ويكون ذلك على شكل ارتفاع صغير يسير منتقلاً بالنسبة لمشاهد على الأرض. كما بين إمكانية حدوث مثل هذه الموجات في الهواء الجوي، وكيف إنها قد تؤدي إلى خلق نشاط انتقالي يسبب بدوره نشوء إعصار قُمعي(على شكل قُمع). باتت دراسته بهذا الشأن(طليعة الحقل الخاص من العلوم الذي أصبح والذي ازدهر، وغدا فرعاً مهماً من علم الأنواء الجوية) [٢]."Mesometeorology"

يُعرف ب
يلجأ العلماء والباحثون في أحيان كثيرة إلى تبسيط المسألة التي يبحثون فيها وذلك بإهمال أو إغفال بعض العوامل التي تؤثر في المسألة موضوع البحث. فعند إدخال جميع العوامل قد يحصلون على معادلات غير قابلة للحل، أو تكاملات غير قياسية أو أشكال رياضية معقدة اخرى. وغالباً ما يتوقفون عن البحث الفيزيائي الذي بين أيديهم ليغرقوا في عمل رياضي قد يطول. لذلك يقوم الباحثون بترك بعض العوامل جانبا ليحصلوا على نتائج لأعمالهم في شكل تعبير رياضي مناسب يمكن الاستفادة منه في التطبيقات العملية. أما العوامل الأخرى فيجري تركها للمستقبل. فهي إما تؤخذ في أبحاث قادمة أو حين توفر إمكانيات جديدة في الرياضيات تسمح بحل ما يصادفهم من صعوبات. وينبغي الأشارة هنا إلى أن التقريبات(أي اهمال او اغفال بعض العوامل)التي يقوم بها الباحثون تشمل عوامل ثانوية وليست رئيسية أو بمعنى آخر تشمل عوامل أقلّ تأثيراً من العامل أو العوامل الرئيسية التي يجري إدخالها في صلب البحث. ولذلك فإن التقريبات التي يلجأ اليها العلماء لا تؤثر على الشكل العام والمهم للنتائج، ويبقى دورها محصوراً في زيادة الدقة لنتائج البحوث.
كان د.عبد الجبار يعمل بتلك الطريقة أيضاً. وكان يورد بكل وضوح العوامل التي يتركها جانبا في البحث الذي بين يديه. ففي أحد أعماله [١٠] درس شكل الحزم الحلزونية للاعصار وكيفية تكونها. ومن التقريبات التي فرضها لتبسيط المسألة هي أن الاعصار يتكون من منطقتين متميزتين بشكل واضح وهما عين الأعصار وهي دائرية الشكل، والمنطقة الخارجية التي تكون متماثلة حول العين. كما أن الهواء داخل منطقة العين يدور حول محوره الهندسي كجسم صلد. أما سرعة الرياح في المنطقة الخارجية فهي تتناقص مع المسافة حسب قانون التناسب العكسي، إضافة الى ذلك فإن سرعة الرياح لا تعتمد على الارتفاع. استناداً إلى كل ما تقدم استطاع د.عبد الجبار توضيح شكل وسلوك الحزم الحلزونية في الأعصار سواء الحزم المنفردة منها أو المجتمعة. وبين أيضاً أن توضيح طبيعة الحزم الحلزونية يساعد على إعطاء معلومات مهمة عن طاقة الأعصار.
هنالك أعمال أخرى لعبد الجبار عبد الله، يمكن الاطلاع على قسم منها في [٢]. إضافة الى ذلك ألف وترجم عدة كتب مهمة منها، على سبيل المثال، كتاب (الصوت) لطلبة الفيزياء في الجامعة، فكان خير مرجع لهم ولأساتذتهم. كما ترجم، مع زميل له، ترجمة رائعة كتاب (مقدمة في الفيزياء النووية والذرية) لمؤلفه هنري سيمات. أفادت تلك الترجمة أجيالاً من الفيزيائيين، طلبة وأساتذة. إضافة إلى أبحاثه العلمية قام بعمل تدريسي وتربوي كبير. فقد درّس في جامعة بغداد وفي كليات ومعاهد ومدارس اخرى. كما درّس في جامعات ومعاهد أمريكية مرموقة ، منها جامعة نيويورك وجامعة بوسطن ومعهد أبحاث الفضاء في ألبني (نيويورك) وفي كولورادو (بولدر).
عبّر عبد الجبار عبد الله في أكثر من مناسبة عن آراء وأفكار قيمة عن كيفية النهوض بالبحث العلمي وبمجمل العملية التعليمية والتربوية في العراق. أمل في امكانية التطرق إلى ذلك في وقت آخر.
بعد ثورة ١٤ تموز عُيّن د. عبد الجبار عبد الله رئيساً لجامعة بغداد. ومن موقعه هذا قدّم إلى بلده خدمات جلّى. لقد اهتم بالمناهج التعليمية والتربوية وبالكادر التدريسي، كما بذل جهوداً كبيرة للأهتمام بإرساء أسس البحث العلمي. ولعب دوراً مهماً في تأسيس العديد من الكليات والمعاهد في بغداد وغيرها من المدن العراقية الرئيسية. أسس جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية. وأصدر، سوية مع زملائه الأساتذة الآخرين، أول مجلة علمية كان هو رئيساً لتحريرها. (وقد حدد الدكتور عبد الجبار أسس النشر في المجلة واشترط أن ما يُنشر فيها يجب أن يكون على المستوى العلمي العالمي، وأكد أن يحصل المقال على تأييد إثنين من ثلاثة خبراء من خارج العراق قبل نشره [١١]).
كما عمل جاهداً على عقد المؤتمر العلمي الأول لجامعة بغداد حيث كان بحق أول تضاهرة علمية كبيرة ومهمة في بلادنا.
لقد فقد العراق الدكتور عبد الجبار عبد الله، عالم الأنواء الجوية، الأستاذ الفاضل والمربي الكبير، وهو لما يزل في ذروة نشاطه العلمي والتعليمي والتربوي، وفي أوج حماسه لتحقيق اهدافه في خدمة العلم في بلادنا، وفي قمة تألقه الفكري ولمعان أفكاره الجديدة في مجال تخصصه.
كان يمكن لتلك الأفكار أن تفيد العلم والناس وأجيالنا القادمة التي ستذكره وتقدره أجمل تقدير، وتعظمه بما يستحق.
ستستفيد أجيالنا حتماً من قصة حياة وكفاح وتألق عبد الجبار عبد الله، ذلك الأنسان الكبير في علمه، المخلص والمتفاني في عمله، المتواضع في حياته وسلوكه..... ذلك الأنسان الذي انتقل بكل إصرار وتصميم وجد ومثابرة من مدارس محافظة العمارة في جنوب العراق إلى ذرى العلم السامقة.

قراءة في كتاب "سيرة الدكتور عبد الجبار عبد الله"

توفيق التميمي

عندما تغيب الرقابة وسلطات الخوف التي تتعقب البشر والكلمات والأجساد المضادة لمسارات هذه الرقابة وتلك السلطات.. فان زمن الحرية يأذن بالدخول حتما.. وان تقاليد الخوف تسقط وتتهاوى..
ونبدأ بتوثيق التأريخ الوطني والكتابة عن رموزه المغيبة بروح الأمانة التأريخية والموضوعية العلمية بما يتوافر من أدلة ووثائق ومخطوطات.. وتنتفي عند ذاك مبررات التزوير والخداع والتزويق.. لأن الحكم سيكون في هذه المسألة للتأريخ والتأريخ وحده.. وذلك لعدم وجود سلطة مؤدلجة نخشاها.. او حاكم متجبر نتزلف اليه او نطمع برضاه.. والأولى بمن يتصدى لتأريخ وتوثيق رموزنا الوطنية العراقيةان يلتزم بقواعد النزاهة والأمانة التأريخية وخاصة إذا كان هذا الرمز وتلك الشخصية ذات حضور وطني وإنجاز علمي باهر كما هو الحال عند العالم العراقي المندائي "عبد الجبار عبد الله".. الذي اقترنت إنجازاته العلمية ونبوغ مواهبه مع مواقفه الوطنية من قضايا شعبه وأمته العراقية. هذه المواقف التي شكلت ومضات من التألق في سيرته البيضاء الخالدة..
ولم يكن رفضه للمغريات التي تقدمت بها الجامعات الأمريكية للتدريس فيها إلا واحداً من هذه المواقف المشرفة.. ولم يكن إحياء مشروع جامعة بغداد وإظهاره الى الوجود إلا موقفا آخر من المواقف التي لا تعدّ ولا تحصى.
ولم يذهب العالم "عبد الجبار عبد الله" خارج وطنه العراق إلا مرغما عند اشتداد الحملات المسعورة من قبل البعثيين والمأجورين من رعاع الحرس القومي للنيل من الأساتذة والرموز الوطنية والإبداعية والتي شملت بالطبع عالما وطنيا فذا كعبد الجبار عبد الله.. الذي غادر العراق وهو يحمل على جسده النحيل بصمات التعذيب لجلادي الحرس القومي كوصمة عار تأريخية على جبين سلطة البعث عند اغتصابها المبكر لدولة العراق. وهذه حقائق لا يمكن تفنيدها في سيرة العالم "عبد الجبار عبد الله" ووثائق أسرته تدل على هذا.
ما ذكرني بتلك الملاحظات والتنويهات التي أعتقد أنها لابد من ان تكون بديهية في فترة الشروع بإعادة كتابة التأريخ من جديد على أسس الأمانة والنزاهة والعلمية لا على أساس "مسطرة صدام حسين المعروفة" من الأكاذيب والوقائع المزورة والبطولات المفتعلة. ما ذكرني بذلك هو قراءاتي لكتاب "سيرة الدكتور عبد الجبار عبد الله" لمؤلفه "د. ستار نوري العبودي" "طبعة خاصة على حساب المؤلف"، فرغم الجهد المضني والبحث التأريخي في سيرة رمز من الرموز العلمية والوطنية العراقية وهي سيرة العالم العراقي المندائي "عبد الجبار عبد الله" فان المؤلف وقع في مغالطة كبيرة وسوء فهم وتقدير لموقف هذا العالم الجليل من السلطات البعثية التي طاردته واعتقلته وعذبته.. واضطرته للهرب وهو الذي كان يحلم بالتشبث بهذه الأرض التي عاش عليها أجداده والموت على ثراها.. ولم أعرف مبررات وقوف المؤلف هذا الموقف الغريب بتجميل صورة السلطة البعثية سواء في حقبتها الدموية الأولى لعصابات الحرس القومي او في حقبتها الصدامية الكابوسية.. فمأساة عبد الجبار عبد الله ومحنته الحقيقية ابتدأت بمجيء عصابات الحرس القومي والإنقلاب الفاشي على ثورة ١٤ تموز الخالدة وزعيمها الراحل عبد الكريم قاسم، كما تثبت شهادة الشهود من الأحياء من أولاد عبد الجبار عبد الله أو أقاربه.. أو مما تحتفظ به الوثائق والسجلات الرسمية.. لهذه الحقبة السوداء.. سواء في كتاب "المنحرفون" الشهير او في مدونات السيرة لرموز وطنية شهدوا على هذه الفترة المظلمة من تأريخ العراق.
فلم تعر عصابات الحرس القومي البعثية أي اهتمام لفضل العالم العراقي عبد الجبار عبد الله في تأسيسه لصرح العراق الكبير في جامعة بغداد كما لم يردعها عن اعتقاله ما قدمه هذا العالم من أبحاث ومؤلفات وخدمات للوطن كانت موضع شرف وإعتزاز للأوساط العالمية قبل الأوساط المحلية العراقية.
إلا ان حفنة الجهلة وقطاع الطرق والعابثين من اللصوص الذين استولوا على السلطة في عام ١٩٦٣ كيف لهم أن يقدروا مكانة هذه الرموز العلمية وكيف يقابلون فضلها..
بادرت السلطة باعتقال العالم العراقي عبد الجبار عبد الله وقد تعرض لأصناف التعذيب الجسدي والنفسي في مكاتب التحقيق للحرس القومي سيئة الصيت . وترتب على ذلك تعرض الأستاذ الراحل عبد الجبار عبد الله الى سلسلة من الأمراض التي كانت السبب في نهايته عام ١٩٦٩ في أرض الغربة.
لم يقف المؤلف "د. ستار العبودي" عند هذه الجريمة النكراء بحق أحد الرموز العلمية الوطنية الشامخة.. وعرض واقعة اعتقاله وكأنها أمر طبيعي حصل للكثير من العراقيين ولم تستهدف الدكتور عبد الجبار عبد الله عالما ووطنيا..
ولم يكتف بغض النظر عن التفاصيل المرعبة لوقائع التعذيب للعالم العراقي بل أظهر سلطة الإجرام البعثية بمظهر الرحمة عندما تستجيب هذه الطغمة لرسالة ترحّم تقدمها زوجة العالم الوطني الى هؤلاء الأوباش.. ان القراءة المنصفة لواقعة تعذيب عالم عراقي فذ كعبد الجبار عبد الله لا يمكن ان نفهمها الآن وبعد هذه المحصلة التأريخية من الكوارث والإبادات والحروب لفترتين من فترات حكم البعث الأسود.. إلا في العداء للفكر والعلماء ورموزالعلم والثقافة والتي ابتدأت بالعالم عبد الجبار عبد الله ولم تنته عند المفكر الإسلامي محمد باقر الصدر وما بينهما من العشرات من مواكب العلماء والأدباء والفنانين..
وها هو العالم حسين الشهرستاني وهو شهادة حية تنطق بيننا بواحدة من جرائم سلطة البعث التأريخية بحق العلم والعلماء والمبدعين.. ولم أعرف مبررا واحدا لمؤرّخ في عراقنا الجديد للتستر على جرائم هذه الطغمة إلا لمجانفة طريق الحق والإبتعاد عن معايير النزاهة والأمانة التأريخية..
ويتمادى المؤلف في ذلك.. عندما يعرض تعاطف العالم عبد الجبار عبد الله مع الثلة التأسيسية الأولى لما يسمى بـ (الاتحاد الوطني لطلبة العراق) وهم ثلة من الطلبة الفاشلين الذين جاءوا من عصابات الطرقات المجهولة.. لغرض التشويش وعرقلة المد الديمقراطي الذي كانت تعيشه الجامعات العراقية في أجواء ومناخات الديمقراطية لثورة ١٤ تموز المباركة.
وبلغ مؤلف هذا الكتاب ذروة مغالطاته.. عندما نسب لعبد الجبار عبد الله تهمة "التعاطف" مع هذه التنظيمات الطلابية المشبوهة.. التي تخرجت منها ملاكات التعذيب والقسوة في حكم البعث الثاني بعد ١٩٦٨، أمثال الجلاد ناظم كزار الذي كان طالبا في المعهد التعاوني الهندسي.. وغيره من الذين ابتلعتهم مؤامرات المنظمة السرية للبعث..
ولم يكتف مؤلف هذا الكتاب بتلك المغالطة التأريخية التي تفضحها شهادة الشهود من أقرباء وأصدقاء الدكتور عبد الجبار عبد الله.. ورسائله التي لم يكلف الباحث نفسه في تثبيتها لأمر في نفسه.. وتعدى ذلك الى التشويش على أسباب رحلته الإضطرارية الأخيرة للولايات المتحدة.. بعد ان فرّ هارباً من معتقلات الحرس الجمهوري ليحمل على جسده النحيل خارطة االقسوة لجلادي البعث كوصمة عار في تأريخ هذه السلطة الجاهلة.. يذكر المؤلف بأن التعذيب وبصمات الهمجية والم الكبير قد استجاب للدعوة التي وجهتها إليه سلطة البعث الثانية وفرح بها إلا ان حالته المرضية حالت دون ذلك..
وهذا ما يخالف الحقيقة والوجدان والضمير الوطني.. فلم تكن أسباب رفض عودة عبد الجبار عبد الله الى العراق عام ١٩٦٨ هو ما ذكره المؤلف من الأسباب المرضية.. بل ان عبد الجبار عبد الله كان معروفا بنباهته ورؤيته العلميتين وبصيرته الشفافة.. التي أدرك بهما ان القطار الأمريكي الذي حمل عصابات الحرس القومي الى العراق لإغتصاب ثورة تموز الأولى.. هو نفسه الذي جاء بهذه العصابات لتحكم العراق من جديد.. وهو لا يمكن ان يعود لوطنه وهو مازال يحتفظ على جسده وفي أعماق ذاكرته جراح معتقلاتهم وآثار تعذيبهم..
كما هي رسالة تنبيه من العالم الخالد عبد الجبار عبد الله للعلماء الآخرين.. بأن لا يقتربوا من خدمة سلطة غاشمة تعتبر الحرب ضد الرموز والكفاءات العلمية واحدة من أبرز مهماتها الكبرى.. وأثبت التأريخ الدموي لهذه السلطة.. صحة ودقة فرضية العالم الراحل عبد الجبار عبد الله كما أثبت التأريخ فروض وصحة نظرياته العلمية الفيزيائية.
الرحمة والخلود للعالم العراقي الراحل المندائي عبد الجبار عبد الله.. والهداية والغفران لمؤرخي سيرة رموز العراق.

عراقيون من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

عام العالم العراقي

عبد الجبار عبد الله - بمناسبة ذكراه المئوية

تمجد الأمم الحية رواد العلم والثقافة والفكر من مواطنيها بتخليد أسمائهم عن طريق تخصيص جوائز، وتأسيس مدن ،ومعاهد وجامعات باسمائهم، في حين تعامل بلداننا العظماء من مواطنيها بسجنهم في دورات المياه وسلب ممتلكاتهم وتشريدهم لتسهل مهمة الدول الغربية في استقطابهم وإعادة توطينهم واستثمار المعارف التي اكتسبوها ضمن ظاهرة مفزعة تسمى"هجرة الأدمغة".
وفي حين يبلغ نصيب الفرد من ميزانية البحث العلمي 680 دولارا في أميركا، و601 دولار في اليابان، و410 دولارات في ألمانيا، يبلغ نصيب الفرد العربي من ميزانية البحث 2 دولارين فقط لا غير، ويخصص في بلداننا العربية 0.02% فقط لا غير من الناتج المحلي للبحث والتطوير.

علي بداي

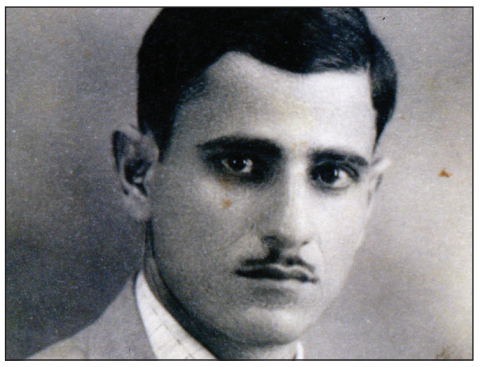

ينشر سنويا في بريطانيا ٢٠٠٠ كتاب جديد لكل مليون بريطاني في حين ينشر في العالم العربي سنويا ١٧ كتابا جديدا لكل مليون عربي وبذلك فإن بلداننا تتميز بأنها بلدان معادية للثقافة طاردة للعقول المفكرة، أما الذي يقرأ سيرة حياة العالم العراقي "عبد الجبار عبد الله" فسيتيقن أن بلداننا تشهد بين حين وآخرسيادة أنظمة طاردة للأخلاق والمثل العليا أيضا.

حين عاد عبد الجبارعبد الله الى وطنه شاغلا عضوية مجلس جامعة بغداد، كان همه الشاغل تأسيس جامعة متقدمة متمتعة بالاستقلالية والحرمة ، مكافحا من أجل توفيرالحرية الأكاديمية الفكرية ليبدأ مرحلة تفعيل دورالجامعة في المجتمع وبناء الأجيال الجديدة بناء مستندا على تنمية قدراتهم واستثمارها لتحقيق التقدم الإجتماعي. وفي وقت مبكر رفع عبد الجبارعبد الله عندما كان رئيسا لجامعة بغداد مذكرة من سبع نقاط يطالب فيها الأسراع بتشكيل المجلس الأعلى للبحوث العلمية لغرض مواكبة التقدم والتطور السريع في مجال البحوث العلمية والتقنية فهو الكفيل بمنهجة شؤون البحث العلمي وتوجيهها الوجهة التي تضع البلاد على عتبة التطور العلمي،وكان حرصه بالغا على إمتلاك العراق لمصادر الطاقة الذرية للاغراض السلمية حين إشغاله في الفترة الواقعة بين ١٩٥٨ . ١٩٦٣منصب نائب رئيس لجنة الطاقة في بغداد

وفي خضم هذه الجهود الهادفة للإنطلاق باتجاه نهضة علمية تنتشل العراق من مستنقع التخلف، يفاجأ "عبد الجبار عبد الله" بإنقلاب عسكري دموي يطيح بكل ماخطط له وليت الإنقلاب اكتفى بذلك.

ففي لحظة بائسة مشينة من تأريخ العراق، أهينت خلالها الحياة الأكاديمية العراقية بكاملها يعتقل "عبد الجبار عبد الله" من قبل عصابة من عصابات الانقلاب يقودها أحد طلابه الفاشلين بدون أية تهمة محددة وبدافع الانتقام من دوره الوطني والأكاديمي ونزاهته العلمية ليس الا ، ويعامل معاملة لاتليق حتى بمجرم أثبتت تهمة الإجرام عليه .

ها هو "عبد الجبار عبد الله" الآن يكابد الألم الممض الذي عصف بروحه وهو يرى البناء الذي جاهد في هندسته يتهاوى أمام عينيه ، عندها قد لايتوقع المرء من عالم تنكر له وطنه، الا أن يشيح بنظره عنه وينصرف الى البحث عن وطن بديل والإفادة مما يوفره له هذا الوطن الجديد من موقع علمي وإمتيازات.

يقول المثل الصيني كلما كبرت السنبلة انحنت وكلما تعمق العالم تواضع ، وهكذا كان "عبد الجبار عبد الله" كلما كبر تواضع فأدى به تواضعه أزاء وطنه لأن يتجاوز ذاته وينسى مافعلته سلطات بلاده معه حين دنست حرمة الجامعة التي يرأسها فكبلت يديه بدلا من أن تشد عليهما وسلبته أعزممتلكاته بدلا من أن تيسر له سبل العيش والابداع .

تضاءل صوت الذات الى أقل مايمكن ،وتعالى صوت الوطن الى أعلى مايمكن فإستجاب عبد الجبارعبد الله بعد سنوات قلائل للنداء المنطلق من أعماق روحه المجبولة من طين الجنوب العراقي والمشربة بماء دجلة وقرر طائرالعراق المهاجرالعودة الى العراق رغم التقديرالعالي والامتيازات الكبيرة التي كان يتمتع بها في أمريكا ومكانته في المركز الوطني لبحوث الأنواء الجوية في كولورادو، لكن الموت كان أسرع من خطى هذا الإنسان الكبيرففارق الحياة في الغربة في التاسع من تموز ١٩٦٩.

عند حلول عام ٢٠١١ سيكون قد مر قرن على ولادة عالم الفيزياء الجوية العراقي "عبد الجبار عبد الله" عام ١٩١١ في بلدة قلعة صالح (محافظة ميسان) .

إنها الآن اللحظة المناسبة للبرهنة على أن العراق قد عاد لأهله، واللحظة المناسبة لإعلان دعم الحكومة العراقية للعلم والفكر والعلماء في بلد لا يحتاج لكي يزدهر الا لدعم العلم والعلماء.

لذلك فإن حملتنا تهدف الى إقناع الحكومة العراقية لتنفيذ الآتي :

تأسيس معهد لأبحاث العلوم الطبيعية في محافظة ميسان باسم "معهد عبد الجبار عبد الله" وهو أنسب مايتوافق مع هدف عبد الجبار عبد الله في حياته الرامي الى وضع بلاده على طريق التقدم العلمي .

ويرمي المطلب الى تكريس مبدأ إعادة الاعتبار لمحافظات العراق وكسر قاعدة تكديس كل المؤسسات المهمة في العاصمة مما سيمهد لتوجيه الاهتمام للمدن الأخرى وإعمارها ، وتشجيع طلابها المتميزين على البقاء فيها واجتذاب الباحثين من خارجها اليها وهذا مايتوجب أن يطبق على علماء وأعلام كافة المحافظات العراقية.

إبلاغ المعاهد والجامعات الأمريكية التي عمل بها العالم "عبد الجبار

قبر الراحل

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

عبد الله" رسميا بمشروع التأسيس لغرض استحصال الدعم والمشاركة في تطوير المعهد والتنسيق لاحقا بين المعهد والجامعات الأمريكية في مجال البحوث العلمية:

تنظيم مؤتمرات علمية في الجامعات العراقية احتفاء بمئوية "عبد الجبار عبد الله"

تشجيع عملية جمع أبحاث وكتب الدكتور "عبد الجبار عبد الله"

التوجه لتوثيق حياة وإنجازات العالم عبد الله عن طريق مقابلات مع مجايليه وزملائه وعائلته

إن تكريم العالم "عبد الجبار عبد الله" هو تكريم للقيم الوطنية لعالم عمل من أجل وطنه في كافة الظروف وجعل العراق موطنه الذي لم يعرضه للبيع رغم شتى الإغراءات وبهذا فإن التكريم هو نداء الوطن لكل عالم مغترب للإسهام ببناء وطن خربته عقود من الاستبداد والتجهيل والتخريب.

إن تكريم العالم "عبد الجبار عبد الله" هو خطوة على طريق ترميم البيت العراقي الذي صدعته التقاذفات الطائفية والمناطقية .

ان تكريم العالم "عبد الجبار عبد الله" هو رسالة يبعثها العراقيون للعالم بقدرتهم على التعايش مع بعضهم في وطن ديمقراطي للجميع .

وأخيرا إن الحكومة التي تعمل على تكريم عالم من أمثال "عبد الجبار عبد الله" إنما تدخل معه سجل التاريخ الناصع.

إنجازات "عبد الجبار عبد الله" العلمية

تجاوزت ابحاث ونظريات "عبد الجبار عبد الله" العلمية الثلاثين نظرية في:

نظرية الأمواج الجوية

مشكلة تكون الأعاصير الحلزونيةالمدارية

التاثير الميكانيكي لأندفاع هواء بارد في تكون الأعصار الحلزوني ١٩٤٩

حدوث ونمو وتكامل الزوابع والأعاصير ١٩٥٤

وشكلت هذه النظريات أساس ماأصبح يعرف الأن بعلم هندسة الفيزياء الجوية

تميز عبد الله بالقدرة على خلق موديلات رياضية مبسطة تمهيدا لدراسة حالات معقدة

من مؤسسي جمعية العلوم الرياضية والفيزياوية

اشرف على العديد من الدراسات الأكاديمية العليا في أميركا أو غيرها من البلدان حتى آخر أيام حياته.

١٩٤٧ ١٩٦٢ وضع وترجم خمسة كتب في الفيزياء وعلم الأنواء الجوية (الصوت لطلبة الفيزياء وترجم مع زميل له كتاب مقدمة في الفيزياء النووية والذرية)

١٩٥٥ بحث عن علم الأنواء الجوية الديناميكي (Dynamic Meteorology) نشر في مجلة الانواء الجوية

١٩٥٦ بحث الزوابع والأعاصير الناضجة نشرفي مجلة النيزك (meteor) .

١٩٥٦ بحث نشر في مجلة المانية قسم فيزياء الجو- بعنوان نموذج للعواصف الترابية الشديدة في العراق

١٩٥٧ بحث بعنوان الكبح الجوي (The atmospheries breakers) ألقاه في الجمعية العلمية العراقية

١٩٦٦ بحث نشر في مجلة الانواء الجوية الامريكية عنوانه (النغمة الموسيقية المنبعثة من الأعصار) وهذ البحث يتحدث عن النغمات البسيطة وعن الأعاصير العملاقة ذات الضوضاء العالية ،وبحث اخر حول الطفرة في خطوط الضغط الجوي

١٩٦٧ بحث نشر بعنوان "طبقات السحب المختلفة الكثافة في الجو المستقر" وقد نشرته مجلة الجو الامريكية ، وقد اجرى البحث هذا في جامعة نيويورك .

بحث بعنوان (معدل نقل الطاقة الميكانيكية بواسطة الموجات الناتجة عن الرياح الغربية) القاه في المؤتمر العلمي الاول لجامعة بغداد

قبل وفاته قام بدراسة – فيزياء الضباب وقدم أخر بحثين له حول طبقات السحب والضباب وقد استخدم في بحوثه علم الموائع المتحركة (الهايدروداينمكس) اساسا رياضيا وميكانيكيا .

اكتسب عضوية الجمعية الانكليزية للانواء الجوية، كما منحته احدى الجامعات الانكليزية شهادة عليا في الانواء الجوية عن طريق المراسلة.

شغل منصب استاذ العلوم الجوية في جامعة نيويورك ، مختصا في الفيزياء الجوية في علم (الانواء الجوية الديناميكي) أي دراسة الأعاصير والزوابع بدرجاتها المختلفة والحركة الدورانية ذات الطاقة العالية .

شغل في الفترة الواقعة بين ١٩٥٨ . ١٩٦٣منصب نائب رئيس لجنة الطاقة في بغداد حرص خلالها على امتلاك العراق لمصادر الطاقة الذرية للاغراض السلمية وتشير احدى المخطوطات المحفوظة لدى عائلة عبد الله ان الرئيس الأميركي هاري ترومان قلده وسام (مفتاح العلم) تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في هذا المجال. وكان هذا الوسام يمنح إلى كبار العلماء المتميزين في عطاءاتهم العلمية.

أشرف على قسم الارصاد في جامعة نيويورك – الامريكية عام ١٩٦٥ .

١٩٥٩- ١٩٦٣ أول رئيس لجامعة بغداد في العهد الجمهوري

شغل "عبد الجبار عبد الله" عضوية مجلس جامعة بغداد منذ بداية تأسيسها، وكان وجوده في المجلس فاعلاً ونشيطاً وبعد أن احيل الدكتور متي عقراوي اول رئيس للجامعة على التقاعد عقب ثورة تموز ١٩٥٨ تحول وكيله عبد الجبار إلى منصب الرئاسة من الناحية الفعلية وامين عام لها حتى شهر شباط ١٩٥٩ إذ صدر مرسوم جمهوري باناطة مهمة الرئاسة إليه، بعد تنافس شديد مع شخصية علمية أخرى هي الدكتور عبد العزيز الدوري إحتل مكانته الطبيعية بين مشاهير العلماء المرموقين في العالم ودخل اسمه أكبر المعاجم العلمية . استطاع ان يدخل تخصصا جديدا في علوم الجو سمي بعلم الميزوميترولوجيا (Meso meteoriology) والذي اصبح فيما بعد فرعا مهما في علم الانواء الجوية ، وقد كتب اسمه وبحوثه في الموسوعة المعروفة (من هو) والتي تضم اشهر الاسماء للعلماء المخترعين في العالم .

البروفيسور الدكتور عبد الجبار عبد الله

د. اكرم الحمداني

رغم مرور قرابة النصف قرن على استشهاد رئيس جامعة بغداد الشهيدالعالم تلميذ العبقري اينشتاين البروفيسور الدكتور عبدالجبار عبد الله هذا العالم المغدور ايام شباط الاسود ١٩٦٣ هذا العالم الذي كان يحمل معه (الشمسية) وسط ذهول اصدقائه وطلابه وزملاء التدريس معه ايام الشتاء المشمس ليخبرهمان اليوم ستمطر ويضحك منه الجهلاء ولتمر ساعات ويهطل المطر بتوقعات الانواء المذهلة للعالم الشهيد عبدالجبار عبد الله رغم مرورکل هذه السنين وتاكد الجميع انه ظلم وعذب وقتل ببشاعة ولحدا لان لم يكرم العراق وشعب العراق وحكومات العراق المتعاقبة هذا العالم وتجاهله الاعلام العراقي الضائع اصلا والباحث عن الاخبار التافهة والبرامج السقيمة لم يذكره احد وهو العالم الذي تتلمذ على يد مفكر العلم اينشتاين والذي اهداه قلما جميلا سرقه القتله وعبثوا به قلما لم يكن يوقع به الا شهادات الدكتوراه في جامعة بغداد !!!!

ادعو جمعية السجناء السياسيين ان تكرم هذا العالم وتمجد ذكره ويشيدله تمثالا ينور مدخل جامعة بغداد وتمثال اخر عن الشهادة في النادي الاوليمبي بالاعظمية وان يستعيد حقوقه هو وعائلته ويردالاعتبار لاسمه وحياته وادعوهم لقراءة هذا المقال الاضافي الذي يزخز بالمعلومات المؤلمة عنهذا العالم الشهيد ،،، لقد ناضل العراقيون جميعا ضدانظمة الغدر ولم يكن النضال فقط لاحزاب بعينها وعلى جمعية السجناء السياسيين انتنصف الجميع وعلى الاعلام العراقي النائم ان يكرم هذا العالم ويعيد ذكراه ان استطاعوا تقديم حلقة جميلة عنه ؟؟؟؟

واليكم المقال التالي

لم .. و عالِمين .. في الذاكرة

داود الرحّماني

بينما كنت أتصفح أحد مواقع اخواننا المنداليين الكرام على الانترنيت استوقفتني مقالة مؤثرة جداً بقلم المهندس صباح عبدالستار الجنابي يقول فيها :-

حدثني أستاذي في الرياضيات د.طالب محمود علي (خريج جامعة لندن) والذي كان احد الذين اعتقلوا اثناء انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الدموي وكان قد حُشر في احدى الزنزانات الصغيرة المعتمة التي غصّت بالمعتقلين من شتى المستويات...حدثني قائلاً :- عرفت الدكتور عبد الجبار عبد الله كأحد المعتقلين في الزنزانة التي حُشرتُ فيها و كان كل منا بجانب الاخر وظهورنا يسندها الحائط وبهذه الوضعية كنا ننام يوميا ولا مجال للحركة فيها...كنت لا استطيع ان اركّز نظري على عيني الدكتورعبد الجبار لما له من مهابة ومكانة علمية و شهرة عالمية بالرغم من تباسطه المعهود..كنت اختلس النظراليه واشاهده أحياناً يغوص في تفكيرعميق وتنهمر الدموع من عينيه...! وفي احد الايام انتهزت فرصة اخراجنا لدورة المياه..جلست الى جانبه بعد ان القيت عليه التحية وعرفته بنفسي.. وبعد ان توطدت العلاقة بيننا سألته يوما عن سبب انهمار الدموع من عينيه كلما غاص في التفكير و التأمل فأجاب:- كان في قسم الفيزياء (الذي أحاضر فيه) طالب فاشل... حاولت طويلاً مساعدته كي يرفع من مستواه فلم أفلح ومع ذلك لم انقطع عن تقديم العون له.

وفي يوم ١٤رمضان ١٩٦٣ جاءت مجموعة من الحرس القومي لاعتقالي من بيتي...ميّزت من بينهم تلميذي الفاشل هذا بسهولة...طلبت منهم مهلة دقائق لأغيّر ملابسي ثم اذهب معهم وأنا واثق من اني لم اركتب ذنباً أحاسَب عليه..غيّرت ملابسي وخرجت إليهم جاهزاً وفجأةً صفعني هذا التلميذ الفاشل نفسه (راشدي) قوي افقدني توازني و كدت اسقط على الارض ونهرني قائلاً "لا تعطّلنه دماغ سِز!" و لم يكتفي تلميذي الحارس القومي بهذا فقط وإنما دسّ يده في جيب سترتي و انتزع منه قلم الحبر الذي كنت اعتز به أيّما اعتزاز والذي لم يفارقني ابداً..ذلك القلم المرصّع بالياقوت الدقيق الاحمر كان هدية من العالم المشهور(آينشتاين) وكنت استعمله في التوقيع على شهادات الدكتوراه فقط..وكلما أتذكر وأستعيد تلك اللحظات أحزن كثيراً الى درجة انهمار الدموع !.انتهى حديث د.طالب بقلم المهندس صباح.

بعد أن انتهيت من قراءة تلك المقالة المرعبة فوجئت بذاكرتي المتخمة وهي تعتقلني عائدة بي الى قرابة نصف قرن..مهرولة الى ما وراء الوراء لأرى ما جبلت عليه رُؤى الورى ..وسافلة السالف من (سوالف) السَلف والخلف... وما انتهت اليه نهايات أهل النهى ولأجتر ما جرى مِن وعلى مَن جرى على ضفاف الرافدين و روافدهما..عادت بي الذاكرة الى ذلك اليوم الحزين الذي لا..لا ولم ولن أنساه ما حييت ألا وهو(يوم الأثنين ١١شباط ١٩٦٣) حيث اضطررت لزيارة أحد أقاربي المسؤول في الحرس القومي كي يسعى بالافراج عن قريب لي وله..وهو تلميذ في كلية ضباط الاحتياط كان قد اعتقل لاتّهامه بالتهمة الوحيدة (شيـوعي !) حيث لم تكن هنالك غيرها من التهم في تلكم الحقبة (حقبة الجاهلية الثانية) وحيث ان الاسلام بَعْدُ لم يظهر! فلا وجود إذن لتهمة إسلامية؟ ولا لأخرى قومية لأن البعث حينذاك كان يتكأ على هاتين الدعامتين في مناهضة التيّار اليساري والعلماني والديمقراطي.

خرجت من عرين قريبي المسؤول بعد أن وعدني خيراً (وقد وفى حقاً بوعده مشكوراً خلال يومين). وقبل وصولي الى البوابة الرئيسة استوقفني صوت جهوَري لشاب من الحرس القومي وهو (يُبَشِّرْ) رفاقه بتهكم و سخرية ناطقاً بجملة لن أنساها ما حييت :- هذا جبار عبدالله رئيس الجامعه شيّلناه تنكة البول...إنتو مَتدْرون هذا شلون شيوعي!!

صُعِقت وأنا أتخيَّل منظر العالم الجليل وهو يحمل!.. كنت على علم مسبق ان الدكتور عبَدالجبار قد اعتقل في النادي الأولمبي (مركزشباب الأعظمية لاحقاً- ساحة عنتر) وموقعه قريب جداً من المكان الذي سمعت فيه تلك المعلومة الرهيبة..المعيبة ..العجيبة (المو..غريبة) ويشغله الآن مجلس الأعظمية البلدي. اجتزت بوابة المقرالموقر(باب النظام) ..جرجرت بدني الخالي من الذهن واتجهت يساراً صوب ساحة عنتر فلي صديق قديم له محل هناك ..جلست على الناصية..متكئاً متهالكاً..على كرسيٍّ ساعدني على التدخين (الثخيـن)..شخصت عيناي على جدران النادي الشاهقة الضخمة متسائلاً بصمت رهيب..هل ان العالم الجليل النحيل لا يزال خلفها أم تحتها ؟ وماذا جرى أو يجري له؟ أولغيـره؟...الآن!

تلك هي حكايتان من آلاف (الحكاوي) المحكاة التي تتحدث عن مدى الانحطاط الاجتماعي والسياسي و عمّا حدث أو ما يحدث أو ما سوف يحدث في أو لهذا البلد المبتلى بالكثير من أهله غير النجباء..فمن المقاومة الشعبية التي لم تقاوم إلاّ الشعب..الى الحرس القومي الذي حرس السلطة بدلاً من حراسته للقـوم..الى الجيش الشعبي الذي حُشرالشعب فيه حشراً وعنوة..الى جيوش اليوم التي جعلت من الله والدين والاسلام ورمـوزه قاسماً مشتركاً لعناوينها. ألا تبّتْ يدا كل سياسيّ أنانيّ متَسلفنٍ بوطنية زائفة أو متستّربدينٍ وطائفة.أومتمترس بقوميةٍ متطرّفة.أو متشرنق بمبادئ بائدة سالفة..وَ أقول :- ألاّ ثبت يدا كل سياسيٍّ نزيهٍ حكيمٍ حصيفْ...وكل موظفٍ عفيفْ..و كل عاملٍ نظيفْ .. وكلّ إنسـانٍ شريفْ.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2011)
السنة الثامنة
الخميس (13)
كانون الثاني 2011

عالم الفيزياء العراقي عبد الجبار عبد الله:

انطفاء وهج العطاء مبكرا

في احتفالية اقامتها جامعة بغداد في الستينيات

علي ثويني

تمر في شهر حزيران (يونيو) من كل عام ذكرى رحيل الدكتور عبد الجبار عبد الله احد اعلام الفكر والتنوير في العراق وهو من القلائل الذين ارتبطت باسمهم عبقرية الانجاز العلمي وبلاغة المجهود الخاص.

انه خوارزمي وثابت وبتاني القرن العشرين ما عدا كون هؤلاء ولدوا في كنف سمو حضاري بينما ولد هذا الرجل البسيط في كنف حالة تخلف تامة في غيبة الموت مبكرا، ليجعل من ذكرى الاجحاف بذكراه مناسبة ذات دلالات تلزمنا للوقوف علي حال الابداع العراقي عموما ومدى امكانية وضع آليات صارمة مستقبلية للمحافظة على كنوزها من ادران الامية المقيتة.

ولد عبد الجبار عبد الله في قلعة صالح بمحافظة العمارة جنوب العراق عام ١٩١١، وكان والده الشيخ عبد الله رئيس طائفة الصابئة المندائيين والتي دخل فيها الي المدرسة الابتدائية فلفت انتباه معلميه منذ الايام الاولى بسبب قابلياته الكبيرة في الحفظ والادراك. واثار اهتمامهم باسئلته الغريبة والمحيرة. وظهر نبوغه العلمي في مرحلتي المتوسطة والاعدادية.

ومع شغفه بالعلوم كان حبه للغة العربية والشعر والادب عظيما، بالاضافة الى حفظه للارقام والمعادلات الرياضية بشكل مذهل وكان عنده ميل فطري لاكتشاف اسرار الظواهر الطبيعية.. اذ لفتت نظره حركة الامواج الساكنة حينا والهائجة احيانا اخرى، واطارت اهتمامه الرياح التي كانت تهب وهو في بيئة جنوب العراق الجميلة وجلب انتباهه البرق والرعد والمطر، فاخذت هذه الظواهر لبه فحاول ان يحل رموزها فراح ينهل من الكتب العلمية التي دأب على اقتنائها كل ما تمكن الي ذلك سبيلا.

احب عبد الجبار العلماء الذين انجبتهم الحضارة الاسلامية ايام ازدهارها فانكب على درس كتبهم ومؤلفاتهم فارتبط بهم ارتباطا روحيا، واجتذبته علومهم وفلسفتهم حتى اطلق اسماءهم على اولاده. وابى الا ان يسير علي نهجهم، ولذلك كان الاول على اقرانه في المرحلة الثانوية، فارسل مبعوثا للدراسة الي بيروت بناء على رغبته ليكون قريبا من اهله ووطنه بدل السفر الى امريكا، كما كان مقررا له في كتاب البعثة العلمية.

دخل الجامعة الامريكية في بيروت ودرس الرياضيات واضافة الى دراسته اتقن في تلك الفترة اللغتين الانكليزية والفرنسية ثم تعلم فيما بعد الالمانية والروسية. وعند عودته الى الوطن عين مدرسا في ثانوية العمارة فكان مثالا للاستاذ الناجح محبوبا ومحترما من طلابه وزملائه غير ان المهنة لم ترق له ولم تلب طموحاته او تتفق مع ميوله العلمية فالتحق بمديرية الانواء الجوية في مطار البصرة حيث وجد مكانه المناسب في تطبيق رغباته ومكث فيها اربعة اعوام خلال اعوام (١٩٣٧ ـ ١٩٤١) تميز خلالها بنشاط عجيب وبغزارة معلوماته ودقتها.. فاشتهر كعالم متمرس بعد بحوثه العديدة والكتب التي وضعها ونشرها لحسابه الخاص.

وبعد ما ذاعت موهبته على الملأ نقل الى الاعدادية المركزية في بغداد ليعين مدرسا لمادتي الفيزياء والرياضيات وظل في وظيفته هذه طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية..

وبسبب طموحه الكبير سافر الي الولايات المتحدة ليكمل دراسته في جامعة (MIT) وفي (معهد ماساتشوستس) وهو من اشهر المعاهد العلمية في امريكا والعالم ونال الدكتوراه في وقت قياسي، ولقد عالج في اطروحته الشهيرة نظرية الامواج الجوية وبعد عودته من امريكا الى بغداد عين مدرسا في دار المعلمين العالية، فواصل نشر ابحاثه المهمة وسعى في الوقت ذاته لايجاد رابطة تضم العلماء العراقيين فاسس (جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية) وكانت حدثا فريدا في العراق فاستقطبت كل المهتمين بالعلم ونجحت في تحقيق اهدافها المرسومة ومن داخل الجمعية انبثقت لديه فكرة اصدار المجلة العلمية العراقية ونتيجة لجهوده المستميتة تحقق له هذا الانجاز الرائد في بلد يئن من التخلف.

في العام ١٩٥٨ واثر قيام ثورة تموز (يوليو) اسست جامعة بغداد على يد الزعيم قاسم وبرغبة من الجميع انتخب الدكتور عبد الجبار عبد الله ليكون اول رئيس لها من بين العديد من الاساتذة الكبار. فتسنى له ان يضع النظام المنهجي للمنظومة العلمية والتربوية في العراق من خلال النية الصادقة والمنطق السليم والتجربة علي المحك بما توحي به حاجات البلد المستقبلية فدعي الى تأسيس الجامعة التكنولوجية والمعاهد الوسطية (الفنية) والثانويات المتخصصة واتاح فرص الدراسات للمبعوثين للخارج بحسب الكفاءة والمفاضلة العلمية للطلاب مع تخطيط للكيف والكم الذي يضمن للعراق اكتفاء من العلماء والمتخصين بدون ادنى ضلوع بالانحياز او الموالاة او المحاباة او المنسوبية التي اصبحت فيما بعد سمة و شيمة طفحت للعلن وبدون ادنى خجل عندما مُيز الدارسون بحسب انتماءاتهم الطائفية والاقليمية والحزبية.

وقد دعى كل ذلك الزعيم قاسم ان يمتشق سيف المباهاة عندما خطب ردا على خطاب السفير السوفياتي الارمني بمقولته المشهورة (سوف يصدر العراق علماء بعد عشر سنين). وقد كان ذلك نطقا بكلمة حق استند فيها لشورى وتعاليم موثقة بمعادلات رياضية من لدن هذا الرجل العبقري.

ولقد نجح في مهمته العلمية بجهد جبار واستطاع تذليل الصعاب التي واجهته وتمثلت في جمع شمل الكليات المتفرقة وفي اختيار كادر يتسم بالكفاءة العلمية والادارية. وفي اثناء تلك الفترة سعى جاهدا الى عقد المؤتمر العلمي الاول لجامعة بغداد وكان له ذلك وكانه عريس في اروقتها. وقام كذلك بالتدريس في الجامعة وفي كليات ومعاهد ومدارس كثيرة اخرى. ونشط في القاء المحاضرات العلمية في اعقد الامور العلمية فكان قدوة حسنة لكل من درس خلال تلك الفترة.

وحين حدثت النكبة العراقية بعد انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ وانقلب التخلف على الحضارة فكان للعلم فيها مصاب ومهانة وسوء طالع ولرجالاته البخت العاثر الذي لاقوه خلال التقتيل والتعذيب والحبس والحساب العسير وكان علي رأسهم هذا الرجل الجليل الذي كان التنكيل به من اكثر ما ميز وطبع تلك الفترة والتي اكدت السلطة الجديدة من خلاله انتمائها الحضاري ومدى وعيها فقد اودع غياهب السجن ثلاثة اعوام ونيف لاقى فيها الحيف والاذلال وعندما تدخلت اطراف خارجية لاطلاق سراحه رحل مباشرة الي الولايات المتحدة الامريكية وانضم الى مركز ابحاث الفضاء في كولورادو وعين بعدها استاذا في جامعة نيويورك بالرغم من اعتلال حاله بعد المعاناة الجسدية والنفسية.

لقد ادرك العلماء الامريكيون اهمية هذا العالم الجليل وفائدته فاحتضنوه وبالغوا في اكرامه. وكانوا على دراية بمساهماته المهمة في علم الانواء الجوية منذ نهاية الاربعينيات ومطلع الخمسينيات في جامعة MIT اولا، وفي جامعة نيويورك من بعد.. وكعالم

استقدم في برنامج الدراسات المتقدمة للمركز الوطني للابحاث الجوية في (بولدر - كولورادو) - ومن ثم كاستاذ جامعي متميز شملت ابحاث الدكتور عبد الجبار اسباب وكيفية تولد الاعاصير والرياح القوية والزوابع والعوامل التي تساعد على نموها. وكان يصف تلك الظواهر باسهاب وكأنه يراها ويلمسها وكان يبين كل ذلك بمعادلات رياضية مسترسلا بحذق العالم العبقري ويقول في ذلك الدكتور ابراهيم الخميس نشر د. عبد الجبار معظم مقالاته عندما كان في امريكا، ومن يطلع علي اعماله يرى انه كان في قلب الجبهة الامامية لعلوم الانواء الجوية، في ذلك الوقت، وان المرء ليعجب كيف استطاع مدرس ثانوية في بلد اقل ما يقال فيه انه متخلف الي هذا المستوى العلمي الرفيع وفي بلد يعتبر من اكثر البلدان تفوقا علميا وتطورا تكنولوجيا.

كان الدكتور عبد الجبار يتمتع بذكاء خارق واصرار على تحدي الصعاب والمضي قدما في موكب العلم والعلماء والافذاذ وكان يتمتع بخيال خصب وافق واسع واطلاع وفير في مجال تخصصه وكان هادئا في مشيته وطباعه قليل الكلام ولكنه اذا تكلم نطق بالحكمة. هكذا وصفه صديقه الدكتور العالم (عبد الكريم الخضيري) وكان وطنيا غيورا وحريصا على قيمه وتقاليد بلده، كان متواضعا لا يعرف الكبرياء رغم انه بلغ قمة الانجاز العلمي والاكاديمي مقنعا في مناقشاته بمنطق سليم ورأي سديد.

لقد فقد العالم العربي بموته عام ١٩٦٩ احد ابرز رجالات العلم والمعرفة وهو لم يزل في ذروة النشاط العلمي والتعليمي والتربوي بالرغم من ذكرى الاذلال الذي لاقاه من اناس اراد لهم العزة فذلوه، وكان حينئذ في اوج حماسه لتحقيق حلمه برفع شأن العلم في العراق مات الرجل والحسرة تغصه على بلده وهو على قمة الابداع ولمعان الفكر بمجال لم يقتحمه بعده غيره في العراق.

واليوم وبعد اربعة عقود من اذلال العلم والعلماء في العراق وخاصة خلال العقد الاخير حيث اطيح بالعلم وطالبيه من علمائه ليصبح هزيلا سقيما مطواعا ومسيرا بحسب الاهواء الحزبية والطائفية والعنصرية الضيقة وليصل العراق من بلد يصدر العلماء فعلا في السبعينيات الى لافظ لهم اليوم وليتحول سمو اخلاق المدرسة العراقية ونزاهة عناصرها الى بؤرة للرشوة وحتى الدعارة.

يمكن ان يلاحظ ذوو الالباب اليوم كم هو الفارق في المستوي العلمي بين طبيب او مهندس اكمل دراسته في العراق اليوم وبين من اكمل في الستينيات والسبعينيات ان الفرق شاسع ولا يمكن ان تقارن المنظومة التعليمية في العراق اليوم مع الماضي القريب وكان الاجدر ان يكون عامل الزمن لصالحها.

تردنا رسائل من الاهل في العراق اليوم وما يلفت نظرنا هو عدم قدرة خريج الجامعة على كتابة رسالة منطقية او كتابة العنوان بالانكليزية، ناهيك عن الذعر الذي نلمسه بين السطور. وهذا ما يجعلنا متيقنين من ان نبات العلم لا يمكن له ان ينمو الا في ارض خالية من الخوف والارهاب والحروب والتسلط على الرقاب والتسييس القسري للعلم والعلماء. رحم الله عبد الجبار عبد الله الذي بنى اساسا هدمه الطغاة

استذكار وجوه عراقية:

الدكتور عبد الجبار عبد الله

قيس قاسم العجرش

شريك هو في الذي يجمع العراقيين من المبدعين .. النسيان..إذ لا من كتاب يتحدث عنه و لا من كاتب يبرق له ذكرى تذكار.

إلا تلك النفحة من المساواة التي بان عنقها في زمن الزعيم ، أصر هذا الأخير على أن يتولى هذا المبدع رئاسة جامعة بغداد و الحقيقة أن هذه ليست بداية التميز لإبن الماء و الطين القادم من أهوار الجنوب. بالضبط لا أحد يعرف كيف تولد لديه هذا الولع الشديد بالطبيعة و العلوم الفيزيائية حتى أنهى دراسة الماجستيرفي جامعة بيروت الأميركية عام ١٩٣٠ ، ولد عبد الجبار عبد الله في مدينة قلعة صالح في بيت رئاسة دينية للطائفة المندائية و والدته السيدة (نوفه) شقيقة غضبان الرومي، المثقف والسياسي المعروف، وبالرغم من المكانة والوجاهة الاجتماعيتين إلا أن عبد الجبار الطفل نشأ يتلمظ شظف العيش في بيئة جلها من الفقراء ثم ارتحل الى الثانوية المركزية في بغداد لإكمال الدراسة عام ١٩٢٤، متفوقاً على العراق بأكمله في هذا إلى جانب ذلك اظهر عبد الجبار عبد الله ميلاً آخر للموروث الثقافي لديانته و برع في المقال اللغوي المندائي و التراث الشعري العربي وكان شغوفاً بالشعر الجاهلي. وحين اتسعت مداركه ازداد تعلقه وشغفه بالكتاب والمعرفة، فقرأ الفلسفة والتاريخ إلى جانب المصادر العلمية الفيزيائية ، و العجيب أن لا من سجلات توثق جهوده الأكاديمية إلا أن عضويته في المجامع العلمية و المراكز البحثية الأميركية كانت قائمة الى حين مماته. وتجاوزت ابحاثه ونظرياته الثلاثين نظرية، كمااشرف على العديد من الدراسات الأكاديمية العليا في أميركا حتى آخر أيام حياته.

دخل اسمه أكبر المعاجم العلمية في العالم. واحتل مكانته الطبيعية بين مشاهير العلماء المرموقين في العالم.وفي عام ١٩٣٠ أسس النواة الأولى لجمعية الرابطة الثقافية التي تشكلت في بغداد، فيما بعد، واصدرت مجلة رئاسة تحريرها منذ صدور عددها الأول عام ١٩٤٤ في بيروت و بغداد.عاد عبد الجبار لوطنه بعد تخرجه في الجامعة عام ١٩٣٤ ليعين مدرساً للغة الانكليزية في المتوسطة الشرقية ببغداد، بعيداً عن اختصاصه الذي شغف به فقرر العودة إلى مدينة العمارة ثانية والعمل في ثانويتها كمدرس للرياضيات والفيزياء .

حتى عام ١٩٣٨، إذ ينتقل إلى وظيفة جديدة في الانواء الجوية بمطار البصرة واكتسب خلال هذه المدة عضوية الجمعية الانكليزية للانواء الجوية، كما منحته احدى الجامعات الانكليزية شهادة عليا في الانـواء الجوية. وتسنح الفرصة له مجدداً في التمتع ببعثة دراسية لنيل شهادة الدكتوراه في جامعات الولايات المتحدة عـام ١٩٤٤ وتمكن بفضل موهبته العالية من انجاز المهمة عام ١٩٤٦. فيعود إلى العـراق لتدريس اختصاصه في دار المعلمين العالية . شغل عبد الجبار عضوية مجلس جامعة بغداد منذ بداية تأسيسها وفي عام ١٩٥٩ صدر مرسوم جمهوري باناطة مهمة الرئاسة إليه.وليقترح عبد الله مشروعاً تنموياً لتحقيق النهضة العلمية عبر ثوابت يأتي في مقدمتها: خلق العرف الجامعي وتفعيل دور الجامعة والايمان بقدرات الاجيال الجديدة والحرية الأكاديمية الفكرية وأخيرا استقلالية الجامعة.

كما ترأس لجنة الطاقة النووية للأغراض السلمية في فترة تعد الأغنى في الحصول على المعلومات المهمة في مجالات استخدام الطاقة عبر صلات علمية مع الإتحاد السوفيتي السابق ثم ليأتي الرئيس الأميركي هاري ترومان و يقلده وسام (مفتاح العلم) تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في هذا المجال. له في المكتبة العلمية : مبادئ النظرية النسبية من بطليموس إلى انشتاين.. بيروت١٩٣٨ الفيزياء النووية- مبادئ الطاقة العامة ..بيروت ١٩٦٠. -بدائل الطاقة ...بحث أكاديمي / جامعة بغداد .. ١٩٥٠ .عاد الى بغداد في صندوق خشبي بعد أن غادرها عام ١٩٦٣ هارباً من بطش الغزاة المحليي

اثناء فترة الخدمة العسكرية

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير: علي حسين
التصميم: نصير سليم
الغلاف برؤية: علاء كاظم
التصحيح اللغوي: عبد الرزاق سعود
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

سكرتير التحرير
عبد الجبار عبد الله

المدير المسؤول
ومدير الادارة
المحامي
الجبار خلف العبيدي

ثمن النسخة ٣٠ فلسا

الرابطة

مجلة نصف شهرية
تصدرها جمعية الرابطة الثقافية

مسجلة في دائرة البريد برقم

المراسلات
موقتاً بواسطة مكتبة بغداد
رقم التلفون ٤٥٨١

بدلات الاشتراك
لسنة واحدة (٢٤ عـــدد)
في العراق ٨٠٠ فلس
في الخارج دينار عراقي واحد
ويحسم ٢٥ ٪ للاعضاء والطلبة

الحرية والضرورة

بقلم : عبد الجبار عبد الله

ذكر الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم بعض الشيء عن الحرية والضرورة في مقاله عن الحرية والحياة العامة المنشور في العدد الثاني من الرابطة • على ان الاستاذ الفاضل لم يدخل في تفاصيل هذا الموضوع الجليل • ولم يتعمق في البحث فيه ، لانه لم ينو الدخول فيه وقد كان خارجا عن مجال موضوعه فمسه مسا لطيفا عن بعد • فرأيت ان اكتب هذه الكلمة القصيرة لايضاح مفهوم الحرية ومغزى الضرورة ، واوجز للقارىء الرأى الصائب ـ في نظرنا ـ في حقيقتها • على اني ساضطر الى ملازمة الاختصار وتحديد البحث في ناحية خاصة ، وربما تيسرت لي الكتابة عنه مرة أخرى ، فهو جدير بسلسلة من المقالات تتناوله من سائر وجوهه •

* * *

فالحرية والضرورة من مواضيع الفلسفة الرئيسية ومن مباحثها الهامة • فقد اثار البحث فيها فلاسفة يونان واختلفوا في آرائهم باختلاف فرقهم • وتناولهما فلاسفة العرب في الاسلام لا سيما ايام اليقظة العلمية والتحرر الفكري ابان دور العباسيين • وما زالا موضوع بحث الفلاسفة في عصرنا الحاضر •

فاصحاب مذهب الحرية يرون ان الانسان حر الا مخير في اعماله ، وان افعاله جميعها او بعضها ممكنة الو ليس من الحتم وقوعها ، ولكنه انما يختار عملا دون آ بمحض ارادته ، ومطلق حريته ، وقد كان بامكانه ان غيره لو أراد • ويرى بعض الغلاة من اتباع هذا المذه الطبيعة نفسها تسلك هذا المسلك بعينه ، وان الظواهر لا ت لقوانين معروفة ولا تنقاد الى نظام خاص ، بل هي تابعة لـ عقلية وظواهر لا طبيعية يعجز وعي الانسان عن استيع ويكل عقله دون تفهمها •

واما اصحاب الضرورة فيرون مذهب الجبر ، و كل شيء في الوجود الى العلة والمعلول ، والمقدمات وال والبواعث والافعال • وهم يرون ان ارادة الانسان مجبر السير في طريق لا يمكنها ان تتعداه ، وان الطبيعة خا لقوانين موجودة فعلا ، ولا ينبغي لها ان تشذ عنها •

والحجة التي يستند اليها مذهب الحرية (او الاختيا يسمونه) هي وجود بعض نواحي الحياة الخلقية التي لم ي اصحاب هذا المذهب ان يتبينوا كيفية ارتباطها بقانون العلية ال

تمام الاتفاق واهداف كافة الشعوب الحرة العاملة في سبيل نصرة قضية الحرية العالمية •

جزء لا ينفصل عن الحرية العالمية والسلام العالمي اللذين الشعوب لاجلهما كثيرا من الآلام والتضحيات •

مقالة نادرة للراحل نشرتها مجلة الرابطة سنة 1944

عراقيون
من زمن التوهج